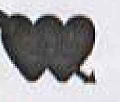
د.نبيل فاروق - د. أحمد خالد توفيق
د.تامر إبراهيم - د.تامر أحمد - محمد فتحي
م.صقر راشد وخيل - محمد سامي

7 وجوه للحب

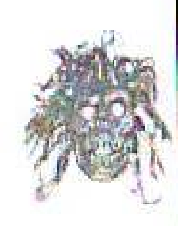
دار ليلى ودايموند بوك



» د. أحمد خالد توفيق «

عن الحب والرعب

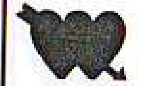
ما إن طلب مني الصديق العزيز (محمد سامي) صاحب "دار ليلى" أن أكتب مقالاً عن (الدب والرعب)، حتى وجدت الأمر سهلاً.. كلنا نخاف الدببة.. تصور أن يجلس عاشقان يتهامسان في حديقة الحيوان ليكتشفا أن من يصغي لهما في استمتاع ليس مخبرًا وإنما هو دب أشهب ضخم. الأجمل أن تهيم الفتاة حبًا بهذا الدب وتتخلى عن حبيبها.



كتبت مقالاً ممتازا عن هذا وارسلته لـ (محمد سامي)، فوجدته يتصل بي.. كان مُحرَجًا لكنه حازم. قال لي ما معناه إنني سمعت موضوع المقال خطا.. موضوع المقال هو (الطب والرعب).

الطب والرعب؟.. فهمت.. إن الطب مرعب بما يكفي.. من جهة الطبيب فهناك رعب لا يوصف اسمه الامتحان الشفوي، عندما تقف خارج اللجنة تراقب الجثث الممزقة الدامية التي يُلقى بها خارج غرفة الامتحان وانت تعرف أن دورك آت حتمًا.. لا مفر.. هناك رعب المريض من الطبيب بنظرته الباردة الصامتة التي تكتم قلقًا لا شك فيه.. و..

هكذا كتبت مقالاً ممتازا وارسلته لـ (محمد سامي). منذ صار محمد ناشرًا محترفًا طرات عليه تغيرات مهمة: صارت عيناه تبعثان الشرر ونما له كرش صغير، وأحيانا ما يقضم حناجر المؤلفين لكن هذا ليس تصرفًا معتادًا لحسن الحظ. الخلاصة إنه تحول إلى ناشر من الذين تقرأ عنهم في القصص، لكنه اتصل بي وكان مهذبًا بتلك الطريقة التي تقول بلا كلمات:" حضرتك عجوز مخرف"، وشرح لي أن موضوع المقال هو (الحب والرعب). قال لي ان المقال الذي ارسلته ممتاز برغم هذا، وعرفت من صوت خشخشة الأوراق أنه يقول ما يقول وهو يلقي به في الزبالة.



الحب والرعب.. يا سلام!.. لماذا لم تقل هذا يا اخي؟.. جميل جدًا.. ارتباط اللفظتين شائع في كل مكان تقريبًا، والسبب طبعًا هو تشابههما.. الحب والحرب والحب والرعب.. لكن من ناحية المعنى والإيحاءات هناك ارتباط قوي فعلاً. ارتباط قوي إلى درجة أنه صار مملاً.

هل تريد دراسة سمجة مملة كابوسية قذرة موثقة بالمراجع وتحطم أعصابي وأعصابك؟.. أم نجعل البساط أحمديًا ونتكلم عما يعن لي من خواطر من طراز (خالتي جات لنا لما كان عندي تسع سنين، وعملت لنا مربة طماطم بس كان طعمها مقرف) ؟.. أعتقد بما أعرفه عنك أنك تفضل الدراسات الصارمة المملة، ولهذا سأختار الحل الآخر!

منذ عرفت أن هناك في العالم شيئًا اسمه حب، وأنا أربطه بالرعب أو الخوف أو الترقب. نحن نقدر أنفسنا ونرى أننا نستحق أن نُحب. تلك هي الفكرة التي تؤرقنا منذ كنا في المهد. عندما نكبر نخشى أن تكون فكرتنا عن أنفسنا خاطئة.. ربما نحن غير جديرين بالحب.. ربما نحن اقبح أو أسمج أو أغبى او اضعف من أن نروق للآخرين، وهكذا يكون اللقاء الأول مرعبًا قدر ما هو ممتع. الاختبار الأول لك في عينيَ من؟.. في عيني الإنسان الوحيد الذي يهمك رأيه في الكون كله. ليت صوتي أجمل.. ليت أنفي أصغر.. ليت قامتي أطول.. ليتني.. ليتني شخص آخر.....



والحقيقة التي تعلمتها مع الوقت هي أن الطرف الآخر لو لاحظ عيوبك فهو لا يحبك أبدًا ولا داعي لإضاعة الوقت.. كما يقول (أحمد رجب):" الحب عندما يأتي يحمل معه نظارة وكمامة

انف تجعلانك عاجزًا عن رؤية عيوب من تحب". هكذا لو أحبك الطرف الآخر فهو سيرى في برابيرك – عدم المؤاخذة - لمسة فروسية انيقة، وفي رائحة عرقك طابعًا رجوليًا محببًا. في شبابي الأول احببت فتاة لها انف ضخم نوعًا ولا تكف عن استعمال المنديل ومصابة بالزكام طيلة الوقت، وبصراحة صار من الصعب أن أرى جمالاً في أية فتاة لا تحمل بعض هذه الصفات (وهذا ليس مزاحًا على فكرة) ..

باختصار.. لا داعي للرعب.. إن كان الطرف الآخر يحبك فعلاً فلسوف يحبك كما أنت.. إن لم يكن يحبك فلا تتعب نفسك حتى لو صرت (براد بيت) نفسه.

برغم هذا الراي يجتمع الشاعر السوداني العبقري (الهادي آدم) مع (عبد الوهاب) و(أم كلثوم) ليقولوا:

اغدا القاك؟! يا خوف فؤادي من غدي!

يا لشوقي واحتراقي بانتظار الموعد!

آه! كم اخشى غدي هذا، وارجوه اقترابا

كنت استدنيه، لكن هبته لما اهابا

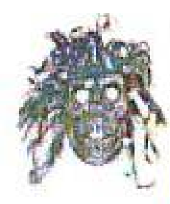


يا للروعة!.. هذا شاعر.. والله العظيم شاعر.. الشعر ما أشعر و (قشعر) .. حتى لو كنت (كينج كونج) نفسه وكنت أنت — يا آنستي الرقيقة - ام سحلول، فلابد أن لحظة مماثلة مرت بك في

حياتك شعرت فيها بالشيء ذاته. عندي قصة كتبتها وانا في التاسعة عشرة من عمري اسمها (لقاء رهيب)، واعتقد انها ممتعة، وهي تلخص هذا الموقف بالضبط. عرضت على محمد سامي ان أنشرها هنا لتفي بغرض الموضوع، لكن الشرر انبعث من عينه وقال في حزم الناشرين:" باقول لك مقال مش قصة".. هكذا تراجعت وقلت له:" هيء هيء.. انا بس كنت باهزر".

ثم ياتي الجزء الثاني من الرعب: ماذا لو تخلى عني من احب؟... لماذا لم تكن ابتسامته كما عهدتها؟.. ثمة شبح خافت خيم على هذه الابتسامة فعكرها.. لماذا؟. هكذا تقضي الليالي مسهدًا قلقًا.. في الحقيقة أنت خائف.. خائف جدًا..

الحب والرعب؟.. كلمني انا عن الحب والرعب..



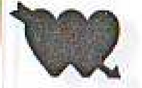
من الناحية الأدبية الصرفة، فالرومانسية مدرسة متشعبة تنضوي تحت عنوان واحد هو الهروب من الواقع.. الهروب من دخان المصنع الكئيب أيام الثورة الصناعية في أوروبا، ومن عصر العقل. هنا تلد المدرسة الرومانسية مدرسة صغيرة محندقة هي مدرسة الرعب القوطي. وهنا أيضًا يجتمع الرعب والحب معًا.. مدام (ماري شيللي) هي زوجة (شيللي) الشاعر البريطاني العظيم. عندما تكتب قصة تكتب عن الدكتور (فرانكنشتاين) الذي أعاد الحياة إلى جثة بالصواعق الكهربية. القصة نفسها تثير الكثير من التساؤلات.. الوحش كان وديعًا مطيعًا فلماذا توحش وجن؟.. لأنه حرم من الحب.. حرم من حب الأب الذي طرده وحرم من حب الأنثى، وهكذا قرر أن يكون مرعبًا وأن يجعل الجميع تعساء..

إن تحول ذروة الحب إلى ذروة المقت شيء مألوف، ولسوف تجد الحرمان من الحب فقرة ثابتة في حياة كل سفاح. أما قصص العشاق الذين يحبط حبهم فيغرسون سكينًا في صدر الحبيبة أو يرشون زجاجة ماء نار في وجهها (مش عارف بيجيبوا مية النار منين) فتتكرر في صفحة الحوادث بإلحاح غريب. لهذا أجد مقولة (اللي يحب ما يكرهش) التي ترددها النساء العجائز خالية من المعنى وجديرة بهن فعلاً.

نعود إلى الأدب العالمي حيث نرى تحول ذروة الحب إلى الرعب مع (هيثكليف) بطل "مرتفعات وذرنج". (اميلي برونتي) نفسها عانس بريطانية حرمت من الحب، وعاملت نفسها بقسوة غير عادية.. لقد انعكس جزء من هذا الجو المجنون الأسود المدلهم في كتاباتها، ولهذا يعجب كل من يقرأ (مرتفعات وذرنج) بعبقرية المؤلفة لكنه لا يكتم أنه شعر بجهامة واختناق.

إن المحب غير المستقر نفسيًا الذي فقد حبه يغدو خطرًا داهمًا. التعلق الزائد عن الحد يخيف، وهناك لحظة يدرك فيها المحبوب ان الأمر زائد ومقلق ويحاول أن يتحرر، عندها..... ......

ثمة فيلم مخيف حقًا برغم عدم شهرته هو (اعزف ميستي من أجلي) عن فتاة وحيدة معقدة وقعت في غرام مذيع التلفزيون الوسيم (كلينت إيستوود) — حتة واحدة - وحاصرته باتصالاتها وطلبها للحن معين هو (ميستي) . بالطبع قرر المذيع أن يخوض معها مغامرة عابرة.. (حكاية ليلة واحدة) كما يقول الأمريكان، وانتهى الأمر وما نعطلكيش بأه.. لكن بالنسبة للفتاة لا شيء ينتهي بسهولة.. إنها تطارده وتحيل حياته جحيمًا وتقتل من يحبهم.



بالواقع تبدو كأنها فوق الواقع ذاته.. موجودة في كل مكان.. وترى كل شيء..

هناك قصة قصيرة مفزعة لـ (ستيفن كنج) اسمها "أعرف ما تريدين" عن الفتاة التي يلاحقها عاشق ولهان. الغريب أنه يحقق لها كل شيء تتمناه في أية لحظة وقبل أن تتكلم. في البداية تشعر بالامتنان ثم بالذعر. طبعًا يتضح أنه رجل شيطاني (موش تمام) ويمارس سحر الفودو.

عام 1981 كتبت قصيدة حول هذا المعنى تقول في مطلعها:

لقد قررت أن أهواك..

لا مأوى.. ولا مهرب!

ومهما صحت، من ينجيك

مني حينما أرغب؟

ومهما قلت أو قاومت أو حاولت أن تنسى..

فلن أنسى...

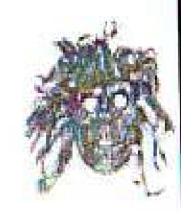
ولا مهرب!!

* * *

ومهما لذت بالإطراق.. أو بجدار إيماءة..

ومهما التف منك الجيد..

أو هممت مستاءة..



فلا جدوى.

انا في كل منعطف..

انا في رقصة الأحلام..

بل في كل إغفاءة..!

* * *

طبعًا كلام مرعب وينشف الدم، لهذا لم تقرأ اية فتاة هذه القصيدة بالطبع إلا وانفجرت في البكاء وذهب أهلها لتحرير محضر عدم تعد لي في القسم. دعك من انها هلاوس شعراء طبعًا، فهذا كلام جدير بأن يكتبه (هولاكو) وليس أنا. لكني كنت فاقدًا التحكم في حنفية العواطف داخلي، خاصة مع رؤيتها لا تكف عن التمخط في منديلها الورقي بسبب التهاب الجيوب الأنفية.. كان هذا أقوى مني..

فكرة مصاص الدماء المحروم من الحب عبر العصور وعبر القرون تتكرر كثيرًا جدًا، وقد وضعت (آن رايس) يدها عليها وسجلتها في الشهر العقاري كما يبدو. كلنا رأى فيلم (لقاء مع مصاص الدماء)، وبعضنا قرأ (يوميات مصاص الدماء) . هذه فكرة تروق للغربيين دومًا، وإن كانت لا تروق لي بصراحة لأني لا أملك المزاج الرائق للشعور بأحاسيس مصاص الدماء والتوجع معه. مصاص الدماء يجب أن يكون كابوسيًا مرعبًا ووغدًا فلا تحاول إضفاء سمات بشرية رقيقة عليه من فضلك.



هناك صورة اخرى للحب والرعب هي (حب الرعب) .. هذا مبحث تكلمنا عنه بشيء من الإسهاب في سلاسلنا (حاسس إن العقاد

هو اللي بيتكلم.. قشطة عليا)، ولئن كان هذا أسخط بعض خصومنا علينا، فإننا نحمد الله على أننا أسخطناهم ولا نسأله أن يرد سخطهم علينا.

الرعب ذو جاذبية فائقة كما تعلم، ولا ارى اسمًا آخر لهذا الولع الشديد بأن نخاف إلا الحب.. نحن نحب أن نخاف.. نحب أن نخاف من شيء نعرف جيدًا انه لن يقتلنا أو يبتر أطرافنا.

الصورة الأخيرة للحب والرعب هي...

ما هذا؟.. لقد طال المقال فعلاً.. الأخ (محمد سامي) ينظر لي نظرة حازمة ويداعب شاربه. هناك نقطة مهمة جدًا لم أتطرق لها بعد، لكني عاجز عن تذكرها.. (محمد سامي) بدأ يطلق الشرر من عينيه فعلاً، وهذا جزء آخر من الحب والرعب.. ان تصاب بالرعب وأنت تكتب مقالاً عن الحب..

-"خد راحتك يا دكتور.. حتى لو خلصت المقال ده سنة 2014 برضه احنا اخواتك الصغيرين"

يقولها بلهجة تدل بلا شك على انه لا مناص لي من إنهاء المقال هنا والآن.. لو تذكرت شيئًا آخر سأتصل بالقراء واحدًا واحدًا لأخبره بما نسيته.. يا الله سلام..



» د. تامر إبراهيم «

تلك الأشياء



تذكرين حبيبتي تلك الأشياء..

يوم التقينا كنت تضحكين.. أتذكر ضحكتك حتى هذه اللحظة..

كنا في تلك الرحلة التي نظمتها الكلية إلى "مرسى مطروح"، وكنا قد وصلنا للتو و بدأنا في إفراغ حقائبنا في ذلك المعسكر الذي اختاروه لنا لنقيم فيه، حين سمعت ضحكتك لأول مرة..



كنت أحمل حقيبتي الثقيلة التي ملأتها بالكتب التي سأقضي أيام الرحلة في قراءتها، و كنت أصعد الدرج إلى الطابق العلوي حيث سيقيم الشباب، حين زلت قدمي فجأة لأسقط و ليتبعثر كل ما كان في الحقيبة على الدرج، بينما اخذت انا أتدحرج كالجوال هابطًا الدرج حتى انتهى بي الأمر أسفل قدميك.. حينها ضحكت أنت..

اتذكر تلك الضحكة حتى الآن.. اتذكر كيف خرجت من فمك الجميل صافية قويه تحمل من البهجة و المرح ما لم أحظ به في حياتي كلها.. ضحكة أذابت آلام سقطتي و حرجي، و دفعتني إلى الضحك معك قبل أن يتضرج وجهك بالخجل لتبتعدي في سرعة..

و بقيت انا اضحك.. حتى و أنا ألملم كرامتي و متاعي من على الدرج أخذت اضحك..

و من بعيد سمعت ضحكتك تتسرب من فمك مرة أخرى قبل ان تذوبي في الجمع لتختفي عن ناظري كأنك حلم و انتهى..

ليلتها صعدت إلى غرفتي و أنا أبتسم و لم تفارقني ابتسامتي حتى في نومي.. و في صباح اليوم التالي قررت ان لهذه الرحلة غرض واحد لن أتنازل عنه..

أن أعثر عليك.. أن أسقط على درجات العالم كله لأسمع تلك الضحكة مجددًا..





أن أملك هذه الضحكة و أرددها معك.. ان املأ اذني و روحي بها.. ان اعيش و أموت و هي تملأ كل شيء حولي..

يا الله.. ضحكتك هي التي بدأت كل شيء..

و هي التي قادتنا إلى النهاية!

* * *

تذكرين حبيبتي تلك الأشياء..

كيف التقينا للمرة الثانية لأراك وسط الفتيات تمرحين.. كيف تسمرت لحظتها أمامكن حتى التفت لي و ابتسمتي.. كيف تضرج وجهك بالخجل ثانية..

أتذكر كيف ابتعدت دون أن تنطقي بحرف واحد..

في ذلك اليوم ذهبنا إلى شاطئ الغرام حيث انتظرتنا صخور الشاطئ الزلقة بألف وعد بأننا سندق أعناقنا اليوم عليها، لكننا لم نهتم.. الشمس أمدتنا بالطاقة.. الرياح المشبعة برائحة البحر أسكرتنا و البحر الأزرق الصافي نادانا فاسرعنا لنلبي النداء..

و بدأنا ننزلق.. لم تمر دقيقة دون أن ينزلق أحدنا على الصخور ليطير في الهواء للحظة، قبل أن يسقط على الصخور القاسية ليضحك الجميع، لكنك لم تضحكي..

فقط حين أتى دوري و طار جسدي ليهوي على الصخور، ارتفعت ضحكتك الصافية لتملأ الكون من حولنا، فلم أشعر بألم السقطة بل أخذت أضحك معك دون ذرة ندم أو ألم..

حتى حين بدات الدماء تنزف من جرح ذراعي لم اشعر سوى برغبة عارمة للضحك، فاخذت اضحك و اضحك و اضحك..

و مرة اخرى تضرج وجهك بالخجل ثم ابتعدت..

ابتعدت فبردت الشمس و سكنت الرياح و ثار البحر..

ابتعدت فشعرت بالوحدة و الكل يمرحون حولي.. ابتعدت فماتت ضحكاتي على شفتاي و غاب عني المرح..

اتذكرين حبيبتي؟.. يومها بحثت عنك طويّلاً حتى عثرت عليك في النهاية قرب الصخرة الضخمة على الشاطئ.. كنت هناك تجلسين وحدك، فلم اشعر بنفسي إلا و انا اتجه إليك لأجلس جوارك صامتا دون ان تجرؤ عيناي على النظر في عيناك..

لكنك حبيبتي مددت اناملك لتلمسي اناملي.. ثم ابتسمت مشجعة، فقلتها لك دون أن أشعر:

احبك..

فضحكت ثانية..

هذه المرة لم أضحك بل احمرت أذناي خجلاً، فقلت لي:

انت لا تعرفني.. فكيف تحبني؟

فلم اجب.. فقط نظرت لعينيك فعرفت الإجابة دون أن انطقها..

انا احبك.. ولدت لأحبك.. اعيش لأحبك.. و ساموت لأحبك..



حينها تضرج وجهك، و قلت:

لا بأس.. أنا أصدقك..

ثم نظرت للبحر دون أن تفارق أناملك أناملي..

لا أعرف من بدأ منا الحديث و لا كيف انتهينا، لكن البحر يذكر.. الليل خيمّ علينا و عدنا في نهاية اليوم إلى المعسكر و قد تشابكت اصابعنا و الهمسات تدوي من حولنا..

لكنك حبيبتي لم تلق لها بالاً.. لقد اصبحت لي و اصبحت لك..

تلك الأشياء لم تكن لتفرق بيننا..

و لم تفعل..

ضحكتك التي فعلت!



* * *

تذكرين حبيبتي كيف مرت علينا السنوات..

انتهت أيام الدراسة و بدأت أيام العناء.. أصبحت رجلاً وأصبحت امرأتي..

سنوات مرت ثم انتهى الأمر بخاتمي يحيط بإصبعك وبضحكتك تملأ بيتي.. كنت لي و أصبحت زوجتي..

كنت أذهب إلى عملي لأعد الساعات كي أعود لك، لأجدك في انتظاري..

لي.. لي وحدي..

و كنت لك..

سنوات مرت علينا رأينا فيها الفرح و الحزن و الأمل و الشقاء و الراحة و العناء، لكن تلك الأشياء لم تأخذ من ضحكتك شيئا.. وكانت ضحكتك تمنحني كل ما احتجت له و أكثر..

و كانت ضحكتك ما أخذت مني كل شيء..

* * *

تذكرين يا حبيبتي كيف حدث ما حدث..

كيف بدأت تتغيرين..

شاردة أصبحت.. حائرة كنت.. حزينة دومًا..

شيء ما تغير لم اعرفه لكني شعرت به..

لم تعد ضحكتك تذيب همومي.. لم تعد بسمتك تملأ يومي.. لم تعودي لي وحدي..

شيء ما تغير لم اعرفه لكني كنت واثق من وجوده..

ثم حين عثرت على الخطابات عرفت ما هو..

عرفت من هو؟

* * *

تذكرين حبيبتي كيف كانت صدمتي..

تذكرين انني اردت الا أصدق لكنك لم تمنحيني الخيار.. الخطاب كان واضحًا و صريحًا ككابوس لا نهاية له..

كان هناك هو.. هو هذا الأخر الذي منحتيه نفسك واخفيت عني كل شيء..




هو الذي ظهر في حياتك فلم تعودي لي وحدي...

هو الذي أرسل لك يقول (ضحكتك تمنحني الأمل) !!

لهذا إذن لم أعد أراك تضحكين.. كنت تدخرين ضحكاتك له.. له وحده..

تذكرين يا حبيبتي ثورتي.. صدمتي.. هلعي و غضبي..

تلك الأشياء التي لم اكن اظن انها ستتسلل إلى حياتنا، لتصبح هي حياتنا.. تلك الأشياء التي اصبحت واقعًا يجثم على روحي بلا هوادة..

تذكرين انني واجهتك.. تذكرين انني طلبت منك الحقيقة فاجبتني بضحكتك، لكنها لم تكن تلك الضحكة التي انتظرتها اذني طويلاً..

كانت ضحكة اخرى.. ساخرة.. قاسية.. عنيدة..

ثم أخبرتني أنك تريدين النهاية.. نهايتنا..

انت لم تعودي لي، هكذا قلتي و هكذا اصبح الأمر بيننا.. انت اصبحت له.. له وحده.

ضحكتك أعلنت أنها النهاية و أعلنت الخيانة.. ضحكتك التي جمعتنا هي التي أنهت كل ما كان بيننا..

تذكرين حبيبتي أنني لم اتمالك نفسي بعدها.. لم اعد انا من يفعل بل ثورتي..

لم أعد من يفكر، بل غضبي..



تذكرين اصابعي و هي تنقض على عنقك لتخرس ضحكتك.. تخرسك.. تقتلك..

تذكرين اصابعي التي حفرت الموت في عنقك و تذكرين هلعي بعدها.. تذكرين كيف اخذت انادي عليك فلم تجيبيني.. تذكرين كيف بكيت على جثتك فلم تمسحي دموعي باناملك..

تذكرين انني قتلتك!

* * *

تلك الأشياء..

اشياء لم يكن لي ان اعرفها إلا بموتك و قد عرفت.. أشياء لو عرفتها لما حدث ما حدث.. تلك هي الأشياء التي لا نعرفها إلا بعد فوات الأوان..

كنت تموتين.. و كان (هو) من يعالجك.. ضحكتك منحته الأمل في علاجك، لذا اخفيت الأمر عني حتى ينتهي الأمر أو تنتهي في صمت..

كنت تموتين و انا الذي منحتك النهاية قبل أوانها.. ضحكتك فعلتها و انا نفذت..

لماذا لم تخبريني حبيبتي؟.. لماذا تركتيني أضع نهايتنا؟

لماذا انتهى كل ما كان؟

اليوم سياخذونني لينفذوا في حكم الإعدام.. و كان طلبي الأخير قبل أن القاك أن أكتب لك..





أن اطلب منك غفرانا لا استحقه..

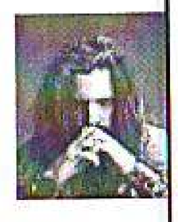
اليوم ساعود لك فهل ستقبلينني؟

تلك الأشياء لن أعرف إجابتها الآن.. ربما بعد ساعات.. ربما بعد أن أغادر هذه الدنيا متدليًا من حبل المشنقة..

تلك الأشياء لم تعد تهم الآن.. فبعد قليل ساعود لك..

بعد ساعات ساصبح لك..

و ستصبحين لي..





» محمد فتحي «

عن الحب والغيرة العبيطة

لم يثبت التاريخ أيهما يغير على الآخر أكثر.. الرجل أم المرأة.. وإن كان من الثابت أن (آدم) لم يتشاجر مع (حواء) في عنان السماء بسبب أنه يغير عليها من ورقة التوت التي تسترها ويريدها ان تستبدلها بورقة كرنب!!

ومن الثابت أيضا أن (حواء) كانت (كمُل) فلم (تردح) لـ (آدم) او تستعرض له غسيلها إياه، وبالتالي فإنها كانت من العقل بحيث اننا لم نسمع انها ربطت (آدم) في إحدى شجرات الزقوم غيرة عليه من إحدى الحوريات التي كانت تنظر له (من تحت لتحت) ..

والغيرة ليست عيب يا حضرة العاشق العصري والدليل انك تكره المرأة التي لا تغير عليك وتتمنى لو أنها ذات مرة اتهمتك بانك تفضل عليها قراءة الجريدة في دورة المياه، ولكن في عصرنا هذا اختلفت درجة الغيرة فتحولت إلى بقايا ورذاذ على جانب غيرة نساء الماضي..

هل تستطيع مثلاً ان تقسم أن حبيبتك تغير عليك من (الهوا الطاير) مثلما يقسم آباؤنا ان امهاتنا كنَّ كذلك (لاحظ كنَّ هذه) ..

بالتأكيد لن تستطيع أن تقسم.. خاصة إذا كان شعرك مدعاة للتفاخر مثل صديقي (توتى) مع أن شعره لم يكن كذلك أبدًا من قبل، ولكن للعلاج الكيماوي معجزاته (ذبل الحمام على ما اعتقد) !!



وهكذا لن تغير عليه حبيبته - شبيهة (أحدب نوتردام) - أبدًا من (الهوا الطاير) بل ستفرح لأن شعره (يهفهف) مع هذا (الهوا)

بعكس خطيب أختها الذي يصاب بالبرد والإسهال نتيجة لهذا (الهوا) حيث أن جنابه مصاب بالصلع الأبدى!!

والغيرة قد تكون صحية مثلها مثل باقي الأدوات الصحية.. وقد تكون مرض عضال ينتهي بدفنك في اقذر محل لبيع تلك الأدوات!!

ولتحذر يا صديقي (سرطان الغيرة) الذي قد يمتد إلى خطيبتك فجاة، فسوف تجدها هكذا وبدون سابق إنذار تغير عليك من القطة التي تشاركك مسكنك.. والسبب - كما ترى خطيبتك - أن نظرات القطة لك فيها إعجاب ورغبة!!

وكأى غر ساذج تنام انت ليلتك وفى بطنك (كوز بطاطا) فرحًا بتلك الغيرة، إلا انك - وبالغباءك - لا تتوقع ما سيحدث في اليوم التالي..



فجاة.. زيارة من حماتك - باعتبار ما سيكون - وخطيبتك - باعتبار أن حظك يرتدى ثياب الحداد - ومعهما (زكى آخر نفس) عميد الدجالين في الألفية الثالثة، و الذي أقنعهما - وبالحظك اللقيط- بأن هذه القطة من الجان.. وبانها معجبة بك وبركبتيك المصعصعتين اللتان يندر وجودهما في عالم الإنس والجان على حد سواء..

وهكذا تتحول حياتك إلى جحيم.. خاصة مع المشاجرات اليومية التي ستحدث بعد ذلك..

" إنت الى طمعت القطة بنت الجنية دى فيك" ثم تكبر الغيرة وتتحول لشك " إنت منظرك غويتها يا سهن يا العبان".. ولا

تستطيع ان تثبت لها براءتك ولا حسن نيتك إلا بعد أن تتغير الظروف المحيطة.. فتموت القطة في حادثة مؤلمة، إذ جلست عليها حماتك (2 طن تقريبًا) عن قصد وعمد ومع سبق الإصرار والترصد لتنهى اي قصة حب مفترض أنها موجودة بينك وبين المرحومة قطة!!

ويخبرنا التاريخ بقصص مشابهة عن جرثومة الغيرة العنيدة.. فتلك الأميرة (ولأدة بنت المستكفى) التي أحبت الوزير (ابن زيدون) واصيبت - ياعين أمها - بسرطان الغيرة فقالت فيه — (ابن زيدون) لا السرطان:

"أغار عليك من نفسى ومن عينى

ومنك ومن زمانك والمكان

ولو انى خبأتك في عيــونى

إلى يوم القيامة ماكفانى"

يانهار إسود ومنيل عليك وعلى سنينك يا (ابن زيدون) .

إن معنى البيتين لواضح ولا يحتاج إلى تعليق.. فهي تخبره (بجنتله) أنها تغير عليه من كل أنواع الغيرة.. يعنى من الآخر (يروح يموت أحسن) ..

والحمد لله الذي لم يهد (ولأده) في حينها إلى تركيبة حامض الكبريتيك المركز و الذي نطلق عليه (مية النار) وإلا مات عمنا



(ابن زيدون) مشوه لمجرد أن تراه (ولأده) يتبادل حديثا مع إحدى الجواري!!!

ولكن المدهش هو أننا لا نعرف بدقة ماذا فعلت (ولأده) في حياتها وهى تحمل كل هذه الغيرة:

"من نفسي".. هل نستنتج إذن ان (ولأده) ماتت منتحرة وقتلت نفسها غيرةً على (ابن زيدون) منها.. أبدا.. لقد أكد التاريخ أنها ماتت موتة ربنا..

"ومن عينى".. بالتأكيد لم تكن لتقدم على تلك الخطوة.. فتفقا عينيها لأنها تغير على (ابن زيدون) منهما.. وإلا كان تركها (ابن زيدون) وهو يرد عليها عندما تقول له (أحبك) بقوله: الله يسهلك..

" ومنك".. يمكننا أن نؤكد أن (ابن زيدون) لم يكن نزيل (الخانكة) ولو ليوم واحد لأن (ولأده) امسكته ذات مرة وهاتك يا رقع وضرب بقبقابها وبباقي المعدات الحربية..

- فيه إيه يا (ولأده) ؟

- بحبك (وهى بتضربه) !!

- طب وبتضربينى ليه منك لله؟

- لازم يموت.. أنا بغير منه عليك.

- هو مين ده الله يحرقك؟

- إنت يا حبيبى!!!

ونؤكد أن (ابن زيدون) لابد وأن يكون حمد الله وباس ايده (وش وظهر) لعدم وجود السواطير متلازمة الأكياس النايلون في هذا العصر!!!

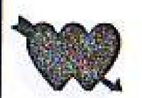
"ومن زمانك".. تقودنا تلك الغيرة إلى كشف علمي عظيم وهو ان (آينشتين) استلهم النظرية النسبية التي نال عنها (نوبل) مرتين بفضل (ولأدة) .. فهي الوحيدة - من فرط غيرتها - التي استطاعت التعامل مع الزمن كما تعاملت من قبل مع" عينيها" و"نفسها" و"هو" الذي يمشي داخله!!!

"والمكان".. هنا تكتمل المصيبة.. فإذا كانت تغير عليه من المكان فأين يذهب (ابن المسكينة) .. أقصد (ابن زيدون) ..

الحل الوحيد الذي قد يتبادر إلى ذهنها - خاصة إذا كانت من نساء هذا العصر. هو أن تخنقه وتطلع روحه فتظل روحه هائمة في عالم الأرواح لا تعرف مكان يحويها، فكل الأماكن ترفضها خوفًا من بطش (ولاده فرانكشتاين) !!!

ولكن السؤال الوجيه الآن أيها العاشق العصري هو: إذا كانت نساء الماضي تغير كل هذه الغيرة.. بل إن (ولاده) هذه كانت أميرة، فكيف الحال الآن؟

شخصيًا.. اعرف صديق له اغرب حكاية سايكوباتية مرضية للغيرة.. فقد تزوج بعد فترة خطوبة قصيرة (أقصر من جيبة كونداليزا رايس) ثم فوجئ بما لا تحمد عقباه..



ذات مرة طلب منها كوب ماء.. وكأي زوجة مطيعة منقرضة احضرت له كوب الماء ولم يكد يمسك بالكوب حتى انفجرت هي في وجهه:

- ايه يا أستاذ.. إنت ما عندكش شعور!

- فيه إيه يا حبيبتى.. مالك؟!

- دى مسكه تمسكها للكباية؟!

نظر صديقى ليده المكسة بالكوب، فإذا هي مسكة عادية وليست مسكة مخبرين أو أمناء شرطة، قبل أن تكمل هي:

- إزاى تمسك الكباية بصوابعك كلها؟

- يعني إيه.

- إنت حتساوى الكباية بايدى؟!

لم يفهم صديقي ما تريد زوجته إلا بعد أن حذرته من انه يجب أن يمسك الكوب بإصبعين فقط لا غير.. أما استخدامه لأنامله الخمسة كاملةً فهو استخدام خاص مقصور على الطعام ويدها هي فقط..

وتعجب صديقي.. وضحك، وفرح في قرارة نفسه بزوجته ذات الغيرة الأسطورية، دون أن يدرك أن القدر يخبئ له خازوقًا كبيرًا..

فذات يوم وبينما يغط في نوم القيلولة العميق عادت هي من مشوار طياري لتفاجأ به يحتضنها..

-" اصحى يا منيل.. اصحى يا دون.. يا خسارة حبى ليك"

وكاي فار مذعور في حرب حامية الوطيس مع جيش القطط المغوار استيقظ من نومه لتكمل هي وصلتها الرائعة:

-" في بيتي.. وعلى سريري.. وف نفس المكان اللي بنام عليه؟!"

نظر حوله في ذعر ليبحث عن أي معشوقة أو غانية أو حتى دجاجة عذراء لم يمسسها ديكٌ من قبل فلم يجد.

-" تفضلها عليَّ.. تحضن المخدة وإنت اللي عمرك ما حضنتني إلا ليلة الدخلة".

تذكر ليلة الدخلة والحضن الذي كان من باب الواجب وحفظ الجنس البشري من الانقراض.. وقبل أن يتذكر باقي الليلة المشئومة فوجئ بعينيها تتحوّل إلى شرر وهى تقول له:

-" انت اللي جنيت على نفسك.. روح يا جوزى وانت خا...

قفز من فراشه وهو يقاطعها مذعورًا..

-" لأ.. ما تقوليهاش الله يسترك"

لم تستمع إلى توسلاته.. بل حسمت أمرها وقالت في حزم مخابراتي:

-" إنت خالع وبالتلاتة"!!

مسكين صديقى هذا، أليس كذلك؟!

لاحظ انك قد تكون في موضعه، خاصةً إذا كنت تمتلك زوجة عظيمة، تغار عليك مثل غيرة صاحبتنا إياها.. ولكن أمام تلك الغيرة كيف تتصرف؟!



الحل بسيط تمامًا، مثلما نصحوا (إسماعيل ياسين) في أحد الأفلام..

خليك بارد..

لبى لها كل طلباتها.. ولا تشعرها انك تغير عليها، لأن غيرتها تلك نوع من الانتقام لما تفعله غيرتك بها.. خاصةً إذا كنت وغد ومعقد نفسيًا مثل ذلك السادي في فيلم" سبعة".

أما عن غيرتك عليها.. فتذكر.. خليك بارد.. وتذكر أيضًا ما قلناه منذ صفحات عديدة.. انت حيوان.. أي نعم حيوان عاشق، ولكنك في النهاية.. حيوان..

وها ما أدركه (عاطف) ..

فقد كان يغير على زوجته غيرة عمياء إلى أن خلعته، فتزوج غيرها وهو حذر.. حريص على إرضائها.. وحدثت المفاجأة مع زوجته الثانية..



أحد المخرجين رآها وعرض عليها بطولة في السينما.. ولضيق ذات اليد (واليد الأخرى أيضًا) وافق على عملها في السينما، وبمجرد دخوله وانغماسه (كتابع مخلص أمين) لزوجته المصونة والجوهرة المكنونة في الوسط السينمائي، تعلم أن زوجته لا تستحق أن يغير عليها..

فمن هذا الحمار (بخلافه طبعًا) الذي سيرضى بأن تقع عينيه على زوجته.. بل ومن الأحمق (بخلافه أيضًا) الذي سيرتبط بنجمة سينما اسمها الحقيقي (كيداهم) ..

صحيح أن المشاهد الساخنة التي تؤديها (كيداهم) كثيرة.. إلا أنه يدرك تمامًا أن من يقوم بالمشهد أمامها هو المجني عليه وأن زوجته هي الجاني..

وهكذا يخبرنا (عاطف) بأنه استطاع اقتلاع غيرته عليها، وصار يلبى لها كل رغباتها، وبالتالي قتل (سرطان) غيرتها عليه..

ويمكنك أن ترى (عاطف) وهو يقف في الكواليس يتابع المشهد السخن إياه، وهو عبارة عن قبلة ساخنة لـ (كيداهم) من بطل الفيلم و..

"ستوب.. Stop" يقولها المخرج.. وعلى الرغم من ذلك تستمر القبلة الساخنة دقيقة.. دقيقتان.. ثلاثة دقائق..

الكل يستعد للمشهد التالي عدا البطل و (كيداهم)، اللذين اندمجا في المشهد السابق، و (عاطف) يتابع بشغف..

عشرة دقائق.. نصف ساعة.. ساعة.. المشهد لا يزال مستمرًا، رغم أن (عاطف) خرج وشرب سيجارتين ثم ذهب إلى الحمام..

ويروى البعض أنه ربما يكون قد ملَّ الانتظار فذهب إلى منزله ينال قسطًا من النوم لحين انتهاء المشهد..

وهكذا لم يعانى (عاطف) من الغيرة على الإطلاق..

فلم يكن اسمه (ابن زيدون)

ولم تكن (كيداهم) (ولأده)

ويحكى أنهما - عاطف وكيداهم- عاشا في تبات ونبات، وإن كانا لم يخلفا لا صبيان ولا بنات، لسبب مجهول حتى الآن..



أرأيت.. أنت أيضًا لابد وأنك تحسد (عاطف) ..

على العموم.. لو أنك تعانى من الغيرة، فيمكنك أن تتبع نفس طريقة (عاطف)، وستجد نفسك حينئذ البشرى الوحيد الذي يفخر بأنه نبتت له قرون استشعار!!

* * *

<u>*كلمة أخيرة:*</u>

مع الحب الحقيقي تكون الثقة أقوى من الغيرة..

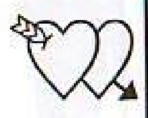
وإني لأسمع الآن صوت من الماضي يهتف:

" فلتسقط الغيرة العبيطة" ..

أعتقد أنه كان صوت (ابن زيدون) ..

وآخرون..

وآخرون..





» محمد سامي «

الشياطين أيضاً.. تحب!

"... إن دور المرأة في عمل المخابرات والجاسوسية لا يمكن إغفاله.. فامرأة جميلة ذكية مدربة – في بلاد يسيطر عليها الجوع الجنسي– تكون أفضل من عشرة جواسيس مهرة.. فسلاحها هو سحرها.. وجسدها.

وعندما تنصب شباكها.. يأتيها أعتى الرجال طائعاً، خاضعاً، ضعيفاً! ".

عالم الجاسوسية.. ذلك العالم الذي يحفل بالعديد والعديد من قصص الحب والكره، أو الوفاء والخيانة، أو المتعة والعذاب..

ولا أجده من قبيل المبالغة، إذا قلت أن كل قصص الجاسوسية ترتبط – على نحو أو آخر- بالحب..

عندما تريد أجهزة المخابرات أن"تصنع" عميلاً متخصصًا في الاغتيالات والتخريب، فهي تنزع من قلبه خلايا الحب والشفقة والندم، وتزرع مكانها الغلظة والقسوة والجفاف. إلا أن نداء الطبيعة يظل يقاوم التطبع، فتنمو لدى بعض العملاء خلايا الحب وتتشكل من جديد، وحينما ينضج ذلك الإحساس الرائع المنزوع قسراً، يكون العميل تحت تأثيره هشاً، ضعيفاً.. لا يملك زمام أموره.

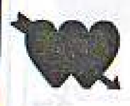
معنى ذلك أن هناك حالات حدثت، بالطبع هي حالات استثنائية جدًا ونادرة، ولأنها كذلك، فهي مثار تحليلات ودراسات مطولة يعكف عليها المحللون.

وعبر الصفحات القادمة، نستعرض معًا بعض حالات الحب في الجاسوسية.. أولئك الذين نتصورهم دومًا مجرد رجال - أو نساء- بلا قلوب..

نستعرض معًا أولئك الذين خانوا أوطانهم، ليثبتوا لنا، أنه حتى الشياطين أيضًا..

تحب.

* * *



[خميس بيومي]
اللبناني الخطير

في عام 1965 عُقد "مؤتمر القمة العربي" في (القاهرة)، الذي تقرر فيه تحويل روافد "نهر الأردن"، وبحثت فيه الإجراءات العسكرية الواجب اتخاذها من أجل مواجهة أي رد فعل إسرائيلي ضد عمليات التحويل.. فقدمت القيادة العربية المشتركة خطة موحدة، تشرح الإمكانيات العسكرية التي يجب أن تتوافر لدى كل دولة من الدول العربية المتاخمة لـ (إسرائيل)، حتى إذا وقع أي هجوم إسرائيلي يتصدى له رد جماعي عربي.

كان نصيب (لبنان) من هذه الخطة سربًا من الطائرات، ورادارًا.. على اعتبار أنه يملك مناطق استراتيجية عسكرية مهمة على رؤوس قمم الجبال. وخوفًا من وقوع هجوم على لبنان يدمر طائراته وراداره، تقرر إعطاؤه أيضًا بطاريات صواريخ أرض / جو. وبعد أن وزعت الخطة انتقل البحث إلى التكاليف.. وتحديد الجهات العربية التي ستتولى التمويل.

ولأسباب سياسية رفض (لبنان) شراء الأسلحة السوفييتية.. وطالب بإعطائه الثمن على أساس سعر السلاح السوفييتي، ليشتري السلاح من (فرنسا).

وبالفعل، سارت الأمور بعد ذلك بشكل طبيعي، وبدأ (لبنان) مفاوضاته مع (فرنسا) لشراء "الميراج" والرادار وصواريخ "الكروتال"، إلى أن وقعت حرب 1967 فانقلبت كل المقاييس.. وتبدلت الظروف.. فألغيت القيادة العربية الموحدة من جهة، ومن جهة

اخرى نسف مشروع تمويل الروافد بعد احتلال (إسرائيل) للضفة الغربية، وبالتالي، تخلت الدول العربية عن التزاماتها بدفع ثمن السلاح اللبناني.

ذلك أنه بعد تبدل الظروف عقب النكسة، وتبدل الاستراتيجية العسكرية العربية، بدأ التفكير اللبناني يتجه بالتشاور مع الدول العربية نحو إبدال السلاح الفرنسي بآخر سوفييتي يتوافق مع ظروف مرحلة ما بعد يونيو 1967، ومع أوضاع (لبنان) وظروفه، بحيث تكون لديه صواريخ نقالة وغير ثابتة تكون عرضة لعمليات نسف إسرائيلية.

وقوبل هذا التبدل في السياسة والتسليح بغضب أمريكي.. فقد رفض (سيسكو) -مساعد وزير الخارجية الأمريكية- مقابلة السفير اللبناني ثلاث مرات، ودفع الدكتور (إلياس سابا) وزير الدفاع الوطني اللبناني ثمن مغامرته بشراء أسلحة سوفييتية بأن أبعد عن منصبه.

وخلال عامي 1971، 1972 عاش (لبنان) مأساة خلافه مع الفلسطينيين، ووقعت حوادث مايو 1973 وتدهورت علاقاته مع الدول العربية، لكن هذه السياسة ما لبثت أن تبدلت بعد ذلك، وتساقطت نظرية الاعتماد على الحماية الأمريكية، وعاد (لبنان) بعد حرب اكتوبر إلى اعتماد سياسته الأولى وهي سياسة الانفتاح على العرب، وعلى المقاومة الفلسطينية، واعتبار ما يتعرض له (لبنان) إنما هو قدره، وأن لابد من التنسيق مع العرب والمقاومة للذود عن أجوائه وسيادته.



وتجلت هذه السياسة الجديدة بذهاب الرئيس (سليمان فرنجية) إلى الأمم المتحدة ليقول كلمة العرب في القضية

الفلسطينية، وتجلت اكثر بتخلي (لبنان) عن فكرة إخلاء المخيمات الفلسطينية من الأسلحة الثقيلة، وساد شعور ضمني بأن هذا السلام في المخيمات هو قوة لـ(لبنان)، واللبنانيين.

لم تقف (إسرائيل) ساكنة أمام تلك التبدلات، فقد استشعرت بأن (لبنان) بدأ يسير بخطى ثابتة للانتقال من مرحلة الدولة "المساندة" إلى مرحلة الدولة "المواجهة"، وبالتالي فإن هذا يسقط اتفاقية الهدنة التي وقعت بينهما عام 1949، وهذا التحول على أهميته البالغة جاء صريحًا في كلمة (فيليب تقلا) وزير الخارجية اللبناني أمام لجنتي الدفاع والخارجية بالبرلمان، حيث أكد على ضرورة أن يتسلح (لبنان) ويدافع، ويحارب، إذ لم يعد له خيار سوى ذلك، لأن لـ (إسرائيل) أطماعها في (لبنان) سواء أكانت هناك مقاومة فلسطينية أو لم تكن.

وبينما خطوط السياسة اللبنانية الجديدة تتشكل.. كانت (إسرائيل) تراقب في قلق وحذر، فمعنى أن يلجأ (لبنان) إلى"الشرق" تلاحمًا مع دول المواجهة أن تفتح جبهة عربية خامسة ضد (إسرائيل)، تضطرها إلى تغيير استراتيجيتها العسكرية كلها، ويحل بذلك السخط الإسرائيلي والأمريكي على (لبنان) .

لقد كان الرئيس اللبناني (سليمان فرنجية) يعلم جيدًا أن أسلحة جيشه قديمة ومهترئة، يعود عهد صناعتها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية!!.. ويعلم أيضا أن لا قبل للبنان بمحاربة (إسرائيل)، أو مواجهتها، أو صد هجماتها الاستعراضية.

كان لا يزال يذكر ما قاله الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) لمسئول لبناني كبير، طلب منه احترام وضع (لبنان) الخاص.. وإبقائه خارج دائرة الصراع العربي الإسرائيلي.

لقد استرسل (عبد الناصر) في عرض وجهة نظره وأجاب: " لا اريد ان اسأل إلى متى يستطيع (لبنان) أن يتحمل عبء هذا الوضع الخاص؟.. في "مؤتمر الإسكندرية" طلبتم مني ان اساند موقفكم يوم هاجمكم الرئيس العراقي (عبد السلام عارف)، واتهمكم بأنكم تعيشون تحت حماية المظلة الدولية.. ولقد نجحت في عزلكم عن الالتزامات بحجة العودة إلى برلمانكم. لقد دفعت (مصر) كثيرًا ثمن الالتزام بالمادة الأولى من الدستور.. والتي تقول بأن (مصر) جزء من الأمة العربية. والدستور اللبناني يقول"(لبنان) ذو وجه عربي"، والالتزام بشعارات هذه العبارة لا يعني ان (لبنان) عربي في السلم، وعربي أثناء المطالبة بودائع البترول، وعربي لتأمين الخدمات التجارية والسياحية والسوق الحر، بل هو عربي أيضًا في أوقات الحرب".

مقولة (عبد الناصر) تلك كانت تهز (فرنجية) من أعماقه، لذلك دفع بـ (لبنان) للحضن العربي بكل قوته، متحديًا التهديدات الغربية بخنقه اقتصادياً، بل ومتحديًا مطالبة الأمريكيين له بعدم الاتجاه" شرقاً" وإلا فسيطلقون عليه وحش (إسرائيل) وثعابينها.

وفي أول رد فعل له، ثار (فرنجية) لسفيره بـ(أمريكا) الذي أهانه (سيسكو) - مساعد وزير الخارجية- ثلاث مرات، ورفض هو الآخر مقابلة السفير الأمريكي(جودلي) مرات ومرات، برغم أنه يحمل رسالة هامة من الرئيس (جيرالد فورد)، يعرض فيها رغبته في زيارة (لبنان)، فاذل بذلك السفير الأمريكي، وأوقع (فورد) في حرج دولي بالغ، بل وحطم العنجهية الأمريكية التي احتلت (بورتوريكو) مائة سنة لأن ضابطًا من البحرية الأمريكية قد ضُرب في الشارع هناك.



لكل ذلك، أعطت (أمريكا) الضوء الأخضر لـ (إسرائيل) لتعربد في (لبنان)، وتضرب (النبطية) ضربات مستمرة متلاحقة، ويتسع نطاق ضرباتها لتشمل مخيمات اللاجئين حتى في (بيروت) نفسها.

وبدأ دور المخابرات الإسرائيلية في عرقلة التبدلات اللبنانية، وقطع خطوط التوافق والتمازج بين (لبنان) والعرب، مستغلة أزمة إحراج الرئيس الأمريكي ومذلة سفيره باللجوء لأسلوب "شبكات التخريب" حيث رأت أنه الحل الأسرع، والأصوب، والأسهل، ذلك لأنها جربته كثيراً، ونجحت، ولها عشرات السوابق في ذلك أهمها "فضيحة لافون" في مصر، وفضيحة تهديد وقتل العلماء الألمان في (مصر) أيضاً.

وكان أن جندت اللبناني (خميس أحمد بيومي) —34 عاماً— ودربته على أن يكون جاسوسًا بلا قلب، منزوع المشاعر وحشيًا في إجرامه، لتنفيذ سياستها التخريبية في (لبنان) والضرب بلا رحمة في الصميم.

* * *

بالقرب من "جامع الزعتري" على المدخل الشمالي لمدينة (صيدا)، ارتفعت البنايات الرائعة التي تقع على البحر مباشرة بطريق "بوليفار"، المتفرع من الطريق السريع "صيدا — (بيروت) "..

بإحدى هذه البنايات ولد (خميس بيومي) لأسرة ميسورة جدًا كثيرة العدد، فوالده مقاول كبير يملك مكتبًا فخمًا يموج بعشرات الإداريين.

وفي محيط هذا الثراء عاش (خميس) مدللاً، مرفهاً، منعماً، لا يعلم من أمر الدنيا سوى اللهو والسهر في حانات (بيروت) ومواخير

(صيدا) برفقة من يماثلونه ثراء، وخواء، فنزف عمره بحثا عن المتعة ومطاردة الحسان، متجاهلاً نصائح والده الذي فشل في الاعتماد عليه في إدارة أعماله، فتركه لحاله يائساً، غاضباً، على أمل ان يوما سياتي ويفيق إلى نفسه.

لكن أمله لم يتحقق في حياته، إذ مات فجأة في حادث سيارة، وانخسفت الأرض بأسرته لما تبين لها انه مدين بمبالغ طائلة للبنوك، وأفاق المغيّب على واقعه المؤلم وقد صفعته الصدمة وزلزلته الكارثة، خاصة وقد تهرب منه أصدقاء الطيش وليالي النزق.

هكذا وجد نفسه العائل الوحيد لأمه ولإخوته الستة، وكان عليه، وهو الخاوي، أن ينبذ ماضيه ليعبر بهم خضم الفقر، والعوز، والمعاناة، فعمل كاخصائي للعلاج الطبيعي بأحد مراكز تأهيل المعوقين بـ (صيدا)، وبعد مرور أربعة سنوات في العمل، اكتشف انه كثور يجر صخرة يصعد بها إلى الجبل، وفي منتصف المسافة تنزلق الصخرة، فيعاود الكرة من جديد دون أن يجني سوى الشقاء.

لذلك كره نفسه وكره واقعه، وفكر بالهجرة إلى كندا وبذل جهدا مضنيًا لكن محاولاته فشلت، فخيمت عليه سحابات الغضب واليأس، وانقلب إلى إنسان قانط، عصبي، عدواني، مكروه في محيط عمله.

إلى أن سقط وهو في قمة ضعفه في مصيدة (الموساد) بلا مقاومة، وكانت قصة سقوطه سهلة للغاية، وجاءت بدون ترتيب أو تخطيط طويل.

* * *

فذات صباح التقى بسيدة أرمينية مسنة، جاءت لتسأله عن إمكانية عمل علاج طبيعي لابنتها المعاقة بالمنزل، وأعطته العنوان لكي يزورها بعدما أطلعته على التقارير الصحية التي تشخص حالتها.

قرأ (خميس) في حديثها وملبسها علامات الثراء، فزار منزلها حيث كانت ترقد(جريس) بلا حركة، طفلة في التاسعة من عمرها بعينيها إشعاعات الأسى والبراءة.

لعدة أسابيع.. داوم على زيارتها للعلاج إلى أن تصادف والتقى بخالها(كوبليان) تاجر المجوهرات بـ(بيروت)، فتجاذبا معا أطراف الحديث، وقص (خميس) حكايته مع الثراء وليالي (بيروت)، وصراعه المرير مع الفقر لينفق على أسرته، وسأله كوبليان سؤالاً واحداً محدداً، عن مدى قدرته الإقدام على عمل صعب، بمقابل مادي كبير، فأكد (خميس) استعداده لعمل أي شيء في سبيل المال.

سافر (كوبليان) إلى (بيروت) وقد خلف وراءه صيداً سهلاً، ضعيفاً، يأكله قلق انتظار استدعائه.. وما هي إلا أيام حتى فوجئ (كوبليان) بـ (خميس) جاء يسعى إليه في (بيروت)، يرجوه أن يمنحه الفرصة ليؤكد إخلاصه، فهو قد ضاق ذرعا بالديون والحرمان ومتاعب الحياة.

رحب به عميل (الموساد) واحتفى به على طريقته، فقد أراد الشاب الحانق أن يجدد ذكرياته في حانات (بيروت)، ولم يكن الأمر سهلاً بالطبع فسرعان ما انجذب (خميس) لماضيه، ورسخت لديه فكرة العمل مع (كوبليان) كي لا يحرم من متع افتقدها.

كانت آلاف الليرات التي تنفق عليه في البارات دافعا لأن تزيد من ضعفه وهشاشته، ونتيجة لحرمانه، ورغبته، لم يعارض

مضيفه فيما عرضه عليه، وكان المطلوب منه حسب ما قاله، تهديد المصالح الأمريكية لموقفها مع (إسرائيل) ضد (لبنان)، وضد العرب، ولما انقده خمسة آلاف ليرة – دفعة اولى – قال له (خميس) إنه مع النقود ولو كان ضد (لبنان) نفسه.

وفي إحدى الشقق ببيروت، أقام (خميس أحمد بيومي) ينفق من أموال (الموساد) على ملذاته، وتعهد به ضابط مخابرات إسرائيلي ينتحل شخصية رجل أعمال برتغالي اسمه (روبرتو)، يجيد التحدث بالعربية، فدربه على كيفية تفخيخ المتفجرات وضبط ميقاتها، وكذلك التفجير عن بعد، وأساليب التخفي والتمويه وعدم إثارة الشبهات.

كانت عملية إعداد العبوات الناسفة من مادة T. N. T شديدة الانفجار صعبة ومعقدة، تستلزم تدريبًا طويلاً، خاصة و(خميس) لم يسبق له الالتحاق بالجيش، ولا يملك أية خبرات عسكرية تختصر دروس التدريب.

وفي أولى عملياته التخريبية، صدرت إليه الأوامر بتفجير السفارة العراقية ببيروت.

سكت (خميس) ولم يعلق، فقد تحسس جيبه المتخم بالنقود، وحمل حقيبة المتفجرات بعدما ضبط ميقاتها، وتوجه إلى مبنى السفارة في هدوء وثقة، وغافل الجميع عندما خرج من المبنى بدون حقيبته التي تركها بالصالة الرئيسية خلف فازة ضخمة، ووقف عن بعد ينتظر اللحظة الحاسمة.

نصف الساعة وملأ الحي دوي الانفجار، وقتل تسعة بينهم خمسة لبنانيين، ولاهثًا خائفًا عاد إلى شقته، ولحق به (روبرتو) ليجده على هذا الحال، فيصفعه بعنف قائلاً انه يعرض نفسه بذلك للخطر.



وقف (خميس) مكانه ساكتًا شاحبًا، بينما تنهال عليه كلمات اللوم والتقريع والسباب، ومعنى سكونه ما هو إلا خضوع والشعور بندم، فالسيطرة عليه كانت مطلوبة عنفًا ولينًا، ترهيبًا وترغيباً، منحًا ومنعاً، فتلك أمور يجيدها خبراء السيطرة والالتفاف في أجهزة المخابرات، وهم أدرى الناس بكيفية التعامل مع الخونة والجواسيس.

وعندما أذاع التليفزيون حادث التفجير، وملأت صور الضحايا والمصابين الشاشة، كان (روبرتو) يرقب (خميس) عن قرب، ويدرس تفاعلاته وانفعالاته، وكانت المسألة مجرد تدريب على واد مشاعره، وقتل أية محاولة للرفض، أو التمرد، أو الندم.

كانت (إسرائيل) تقصد من تفجير السفارة العراقية ببيروت إشعال الشقاق بين الدولتين، وتأجيج الخلاف بينهما، فـ (العراق) كان يسعى وبشدة لتقوية أواصر العلاقة بين (لبنان)، والاتحاد السوفييتي، ويؤيد (لبنان) في خطواتها نحو الاتجاه إلى" الشرق"، وكانت (إسرائيل) تقصد أيضًا توجيه الاتهام إلى المقاومة، مما يفقدها التأييد اللبناني والمساندة.

ونظرًا لظروفه السيئة.. أغدقت الأموال على (خميس) بيومي فكفر بعروبته، وتحول بعد مدة ليست بالطويلة إلى دموي يعشق القتل والدم، بل إنه استطاع تجنيد لبناني آخر اسمه" جميل القرح" كان يعمل مدرسًا وطرد من عمله لشذوذه مع تلاميذه الأطفال. فتصيده (خميس) وجره إلى نشاطه التخريبي، وبارك (روبرتو) انضمامه للشبكة، ولم يستغرق تدريبه هو الآخر وقتا طويلاً، فلسابق خدمته في الجيش كان اكثر تفهمًا لخطوات التدريب.. وأعماه (الموساد) بالأموال أيضًا فغاص لأذنيه في التفجير والتخريب وقتل الأبرياء.

وفي التاسعة صباح الثلاثاء **10** ديسمبر **1974** بينما عدد كبير من موظفي مكتب "منظمة التحرير" بمنطقة "كورنيش المزرعة"، يقومون بأعمالهم اليومية الاعتيادية، هزهم انفجار قوي، تبين أنه حدث في الطابق الأول من المبنى حيث يوجد معرض "ذبيان وايوب" للمفروشات. وعثر رجال الأمن على سيارة (فيات) "132" بيضاء اللون تقف على الرصيف المواجه.. ووجدوا على سطحها قاعدة لإطلاق اربعة صواريخ " آر. بي. جيه" بلجيكية الصنع عيار" 3.5 " بوصة، مركزة على لوح خشبي متصل بأسلاك كهربائية، منها انطلق الهجوم الصاروخي.

ووسع رجال الأمن دائرة التفتيش، فعثروا على بعد 65 مترًا من السيارة الأولى، على سيارة ثانية (فيات) ايضاً.. وعلى سطحها صندوق خشبي آخر تخرج منه أسلاك كهربائية متصلة ببطارية السيارة.

اخليت مكاتب المنظمة وسكان البناية، وقبيل مجيء خبير المفرقعات، شوهد الصندوق الخشبي يفتح أوتوماتيكيًا لتنطلق منه ستة صواريخ "آر. بي. جيه"، فتصيب مكاتب المنظمة وتحطم واجهاتها ومحتوياتها.

في الوقت نفسه تقريباً، تعرض مركز الأبحاث التابع لـ "منظمة التحرير"، والكائن بالطابق الثاني من بناية الدكتور (راجي نصر)، في شارع "كولومباني" المتفرع من شارع "انور السادات"، لهجوم صاروخي مماثل، إذ انفجرت أربعة صواريخ دفعة واحدة، انطلقت من على سطح سيارة" اودي **180**"، وعثر إلى جانبها على "غليون" خشبي، وأسفرت العملية عن تدمير القسم الأكبر من



مكتبة المركز التي تضم أكثر من 15 الف كتاب وإصابة العديد من المواطنين والسيارات.

وبعد مرور عدة دقائق من هذه الانفجارات، تعرض مكتب "شؤون الأرض المحتلة" في الدور الأول من بناية "الإيمان" لصاحبها (جعيفل البنا)، والكائنة بشارع "كرم الزيتون" إلى هجوم رابع مماثل باربعة صواريخ.

لقد كان (خميس احمد بيومي) ذا دور فعال في التفجيرات الأربعة، يشاركه (جميل القرح) وثلاثة جواسيس آخرين استطاع القرح تجنيدهم وضمهم إلى الشبكة الإرهابية، وكان أسلوب منصات صواريخ السيارات أسلوبًا جديدًا لم تعرفه (بيروت) من قبل، او أية عاصمة عربية اخرى.

ولم يقف الأمر عند تفجير سفارة (العراق) ومكاتب المنظمات الفلسطينية، بل تعداه إلى ما هو ابعد بكثير، إذ طالت الانفجارات الكنائس والمساجد لإثارة الفتن بين الطوائف، وإظهار عجز رجال الأمن اللبناني عن اكتشاف الجناة، أو إحباط المؤامرات التي تحاك فوق الأرض اللبنانية.

ولأسباب كثيرة، أولها أن الأجهزة اللبنانية ترى أن التعاون مع اجهزة الأمن الفلسطينية أمر معيب ومسيء لسمعتها، وثانيها ان الدولة اللبنانية لا تزال تفضل السياحة على الأمن، والسبب الثالث، التارجح ما بين دولة المساندة ودولة المواجهة، لتلك الأسباب، كانت شبكة (خميس بيومي) والعديد من الشبكات التخريبية الأخرى، تعمل في (لبنان) بحرية مطلقة، وينسل افرادها من بين رجال الأمن كالرمال الناعمة.

وحدث أن القت قوات الأمن الفلسطينية على بلجيكي قبل أيام من التفجيرات الأخيرة، بعدما تأكد لديها أنه جاسوس إسرائيلي، وأثناء التحقيق معه قامت القيامة، واشتد الضغط اللبناني لإطلاق سراحه، فسلموه للسلطات الأمنية مع ملف يحتوي اعترافاته، ليطلقوا سراحه بعد 24 ساعة.

أما الذين سُمح للفلسطينيين بالتحقيق معهم، فقد اعترفوا اعترافات كاملة بأنهم عملاء للموساد، وثار (بهيج تقي الدين) وزير الداخلية اللبناني للملاحقة الفلسطينية الدءوبة للجواسيس الأجانب، واشتدت الأزمة واستحكمت حلقاتها بعد موجة التفجيرات التي هزت (لبنان) كله، لدرجة توجيه نداء في الصحف يوم الجمعة 27 ديسمبر 1974 للذين يزرعون القنابل، أن يعلنوا" الهدنة" لمدة 48 ساعة تبدأ قبل راس السنة بيوم واحد، تمامًا كما حدث في (بريطانيا) من قبل مع ثوار (أيرلندا)، وكتبت الصحف في (لبنان) أنه:

" أمام عجز الدولة عن إلقاء القبض على أي متهم بزرع القنابل، لا مفر لديها من أن تلجأ إلى عاطفته الإنسانية، و" ترجوه" أن يتوقف ليومين.. أما إذا لم يستجيب زارعو القنابل لرجاء الحكومة، فلا مانع من إعلان (بيروت) مدينة مفتوحة لمدة يومين، وليتحمل زارعو القنابل مسؤوليتهم أمام الضمير الإنساني."!!.

إنه أغرب نداء ورجاء، لكنها هي الحقيقة المؤلمة.. هذا ما حدث بالفعل في (لبنان) عام 1974.

وفي التاسع من يناير 1975، وبينما الندف الثلجية البيضاء تتطاير في الهواء، ثم تتهادى كالرزاز لتستقر فوق الأرض، وعلى أسطح المنازل وأغصان الشجر، ألقى رجال الأمن الفلسطينيون



القبض على (خميس بيومي) بشارع "كورنيش المزرعة"، عندما كان يرسم لوحة كروكية لأحد مباني المنظمة الفلسطينية.

وأثناء التحقيق معه استخدم كل أساليب المراوغة والدهاء.. واحتاط لعدة أيام كي لا يقع في المحظور، لكن الاستجواب المطول معه أصاب مقاومته في الصميم، وتلاشت رويدًا رويدًا خطط دفاعاته وهم يلوحون له باستخدام طرق التعذيب معه لانتزاع الحقيقة.. وبوعد منهم بعدم إيذائه اعترف بكل شيء، فألقى القبض على (جميل القرح) الذي مات بالسكتة القلبية قبلما يعترف بأسماء أعوانه الثلاثة الآخرين، وهكذا كتبت لهم النجاة، حيث لا يعرف (خميس) إلا أسماءهم الحركية، أما (روبرتو) فقد اختفى ولم يقبض عليه أبداً، وتسلمت السلطة اللبنانية (خميس بيومي) وقدمته للمحاكمة، وعوقب بعشر سنوات في السجن!.

* * *

[عيزرا خزام]
هادم المعبد

توقف ذات نهار بسيارته في إحدى إشارات المرور.. وبينما ينتظر الإشارة الخضراء.. لمح فتاة ساحرة تفوق (أفروديت) جمالاً.. فطاردها بإصرار صياد لا يهمد.. ولو أنه كان يعلم وقتها أن حياته مرهونة بنبضات المشاعر.. لما سمح لقلبه أن يهوى.. أو تخفق جوانحه. ذلك أن الصدفة العابرة – أحيانا – قد ترسم مصير إنسان..

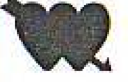
في حي الكاظمية بـ (بغداد) ولد (عيزرا خزام) عام **1924** لأسرة ثرية تعمل بتجارة الذهب والمشغولات الثمينة. ونشأ منذ طفولته نشأة يهودية تقليدية، منكبًا على كتبه الدراسية بعيدًا عن مهاترات الشباب وطيشهم، إلى أن التحق بكلية الطب في (بغداد) وتخرج منها عام 1953، ليعمل طبيبًا بالمستشفى المركزي، مرتقيًا السلم الوظيفي والمهني سريعًا نظرًا لمهارته الفائقة في عمله.

وفي المستشفى تقابل مع إحدى المرضات اليهوديات وتدعى (جنة) التي تسلمت عملها حديثاً، فانبهر بجمالها الفتان وأنوثتها الفتاكة، وغرق في حبها دون أن يدري.. أو يقاوم.

ففي ذلك الوقت، كانت ضغوط أسرته ليتزوج تزداد يومًا بعد يوم.. واختار له والده ابنة تاجر يهودي ثري، رآها (عيزرا) عدة مرات في المناسبات الدينية والعائلية، لكنها لم تترك لديه أثرًا يدعوه ليقترب إليها. فصارح والده بمشاعره تجاه ابنة صديقه، وانشغل بعمله وبحبه لمرضته الحسناء.

وحدث ذات مرة أن تجرأ وأعلمها بحبه، فاستنكرت ذلك منه للفروق الشاسعة بينهما، فهي ابنة يهودي فقير، يمتهن النحت والنقش على النحاس، ولا قبل لأسرتها به. لكنه تناسى كل الفروق غير عابئ بفقرها، فهي غنية بالجمال الوفير.. وهذا يكفيه.

استجابت (جنة) لعواطفه، وانقادت هي الأخرى تجاهه، مانحة إياه مشاعرها وقلبها عن قناعة. لكن حبه لها كان أضعاف ما تكنه هي من حب. لذلك كان شديد الغيرة، يطاردها في ردهات المستشفى، وفي كل مكان. ولما صارحته بأنها لم تعد تطيق تصرفاته، عرض عليها الزواج في أسرع وقت، فرفضت بإصرار دون أن توضح لذلك سببًا.



تحير الدكتور (عيزرا) في أمر حبيبته، وساورته الشكوك والريب، لكنها قطعت عليه الطريق، واعترفت له بأنها قررت ألا تتزوج في (بغداد) مهما امتد بها العمر، إذ هي تحلم بالحياة في (إسرائيل)، والزواج هناك بمن يحبها، ويريدها.

أسقط في يده، ولم يسعفه عقله ليقول اي شيء. فلما طال صمته، همت بالانصراف، لكنه جذبها بشدة وبعينيه شعاعات من تحد، وقال إنه يوافق على زواجهما في (بغداد) ثم يسعيان معًا بعد ذلك للهرب إلى (إسرائيل). رفضت (جنة) ما أبداه من رأي.. ذلك لأن أسرته لن توافق على زواجهما، وبالتالي سيخسر الكثير وهو الذي اعتاد الحياة الناعمة بما يغدقه عليه والده من أموال.

وتمر الأيام وحبيبته في تبدل مستمر تجاهه، فيفطر قلبه، ويسير كطفل رضيع يسعى لحضن أمه الدافئ، يتلمس بين أحضانها الأمن والحنان. فكانت ترقب حبه الطاغي لها في تدلل، حريصة على ألا تمنحه ولو جرعة قليلة من أمل في زواجهما بـ (بغداد) .

لقد بدد إصرارها على الهجرة أمنه، وأحال ليله إلى كابوس مقيم خوفًا من صدمة اختفائها المفاجئ. لذلك أسرع بتأجير شقة جديدة بشارع "السعدون" كعيادة، ورجاها أن تقبل العمل معه لتكون بقربه طوال اليوم، فوافقت واثقة من شدة تعلقه بها، وكانت تضمر له أمرًا.

لقد تحينت الوقت المناسب، وصارحته بأنها تعمل لصالح (الموساد) الإسرائيلي منذ مضي عام، وتنتظر انتهاء المهام المكلفة بها ليتحقق حلمها بالهجرة.

هزه الأمر وبعثر عقله، واضطربت له قسمات وجهه وحياته كلها، ولأنه يحبها لدرجة الجنون، لم يشا أن يرفض مسلكها فيخسرها.. عانقته في امتنان، وأذاقته قبلة كالبركان أذهبت بإرادته، فكبلته معها بسلاسل من إثارة أنثوية فضحت ضعفه وخضوعه.

وبعد مرور عدة أيام – كانت أثناءها تختلي به كثيرًا لتمنحه المزيد – طلبت منه أن يستقبل رئيسها في" العمل".

مغيب العقل والإرادة، لم يستطيع أن يرفض هذا.

وفي اللقاء الأول بينهما، شرح له العميل الإسرائيلي الكثير عن معاناة السواد الأعظم من اليهود في (العراق)، ورغبة الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في العمل على تهجير أكبر عدد منهم، إشفاقًا لحالهم أولاً، ولحاجة الدولة اليهودية إليهم ثانيًا.

هكذا تم اللقاء بينهما في هدوء.. ولم يغادر" الرئيس" العيادة إلا واقنع الدكتور (عيزرا) بضرورة الانضمام للمنظمة السرية الصهيونية، التي تنتشر فروعها في كل (العراق).

لقد كان للحب أثره العجيب.. إذ رحب الدكتور (عيزرا) بالعمل مع المنظمة، واتخاذ عيادته مقرًا للقاءات السرية، بعيدًا عن أعين رجال المخابرات، الذين ينقبون عن الخونة في كل مكان. باع الدكتور (عيزرا) وطنه بخسًا للصهيونية، وكأنه ما ولد وعاش وتعلم على أرضه، وشرب من مائه، وتنسم هواءه. واخضع لدورة تدريبية على أعمال التجسس، بواسطة ضابط إسرائيلي تسلل خصيصًا عبر شط العرب لتدريبه، ثم سافر إلى البصرة للحصول على دورة أخرى في استعمال جهاز اللاسلكي، ورجع إلى (بغداد) يحمل حقيبته الطبية، بداخلها الجهاز الثمين.



لقد اشتد إيمانه – كيهودي – بمهمته، وتعاظم حبه لـ (إسرائيل) متوازيًا مع حب (جنة)، قانعًا بضرورة الهجرة اليهودية لتشتد الدولة، وتقوى أمام الجبروت العربي والجيوش التي تتسلح سرًا لتدميرها.

ثم انقلب اهتمامه بقضية التهجير، إلى البحث في خبايا القوة العسكرية العراقية. هذا الأمر شغله تمامًا واستحوذ على تفكيره. فقد كان يرى أن لديه قدرات هائلة، للعمل في مجال الأسرار العسكرية، التي تتنامى في الخفاء. أما مسألة التهجير فبإمكان آخرين أقل حرفية منه، القيام بها. كانت حبيبته وعشيقته (جنة) توافقه في رأيه، وتؤيده، وتدفعه دفعًا بغريزة الخيانة التي ولد بها اليهود، فاقنعته بضرورة استخدام جسدها معبرًا للوصول إلى معرفة نوايا العراقيين، وخطط التسليح التي يضعونها للجيش، بالسيطرة على أعصاب عدد من الضباط، يتم الإيقاع بهم في حبائلها.

إن تعدد الانقلابات العسكرية للوصول إلى الحكم، منذ الإطاحة بالملكية عام 1958، جعل من الجيش العراقي لغزًا يصعب التكهن به. فكل رئيس جديد –وهو عسكري بالطبع– له بعده السياسي وقراءته الخاصة لخريطة الجيش وتضاريسها. ولقصر مدد الحكم، أصبح من العسير وضع رؤية محددة تترجم السياسات والنوايا. فـ (العراق) يأتي في المرتبة الثانية بعد سوريا، في عدد مرات الانقلابات التي وقعت منذ استقلاله، حتى وصول (صدام حسين) إلى الحكم.

من هنا، ولهذه الأسباب، انشغل الدكتور (عيزرا) بأسرار السياسة والجيش في (العراق)، بعدما تبين له أن هناك دلائل قوية، تشير إلى مساع جادة لتسليح الجيش بأحدث الأسلحة السوفييتية،

لمساندة دول المواجهة في صراعها ضد (إسرائيل) من جهة، وللوقوف ضد اطماع (إيران) من جهة أخرى. فسياسة التخويف التي اتبعها الشاهنشاه (محمد رضا بهلوي) في المنطقة، كانت سببًا مهمًا للبحث عن مصادر السلاح، وتدريب الجيش، ورفع درجة كفاءته واستعداده وتأهبه.

فكيف طوع الدكتور (عيزرا) جسد حبيبته لخدمة الجاسوسية؟.. البداية كانت بطريق الصدفة البحتة، عندما لاحظت (جنة) نظرات ذات مغزى تفهمها الأنثى، لأحد المترددين على مكتب المحامي المواجه للعيادة. فلم تعر الأمر انتباهًا في البداية، لكن بعدما شاهدت الشخص نفسه بعد عدة أيام، وهو يرتدي البزة العسكرية برتبة عقيد، رمقته بسهم من نارها فاردته عشيقًا، وفوجئت به يدلف إلى العيادة كالمنوم التائه، مستأذنا استعمال التليفون. كانت حجة واهية تفضحها نبرات صوته ونظراته العطشى، زادتها ثقة في مواهبها، وطغيان أنوثتها.

ولأنه صيد ثمين لا يقاوم، تعاملت معه برقة متناهية، مبدية إعجابها بزيه العسكري الهندم. فأذكت غروره، وأيقظت لديه روح المغامرة، والشوق إلى العشق واندفاعات الشباب، فداوم على الاتصال بها تليفونيًا يسمعها كلمات الإطراء، بينما هي تصده في دلال جاذب.

اطلعت (عيزرا) على ما تنويه للإيقاع بالعقيد (عبد الجبار)، فوافقها معربًا عن سعادته بإخلاصها للعمل، ورسما معًا خطة اصطياده المحكمة!.

أعدت إحدى حجرات العيادة إعدادًا جيدًا، حيث زودت بأحدث كاميرات التصوير والأجهزة اللاقطة للصوت، ولما اتصل بها (عبد الجبار) ذات مساء أنبأته أنها بمفردها بالعيادة لسفر الطبيب.



ابتلع الضابط الطعم، وعرض عليها أن يتناولا العشاء سويًا فأجابته باستحالة ذلك لأنها تنتظر مكالمة هامة من الدكتور (عيزرا) .. حينئذ عرض عليها أن يحمل العشاء إلى العيادة ليتناولاه معاً، فرحبت بعد تمنع خبيث، وهكذا ذهب بقدميه إلى النهاية.

فبعد العشاء سحبته إلى الحجرة" الملغمة"، واكتشفت أن العقيد الفارع الطول، ذو الوجه العسكري الصارم والشارب الكث، يعاني ضعف رجولته، إلا أن العميلة المحنكة، أشعرته بانه فحل من فحول" نينوى"، وثور من ثيران" آشور" القديمة. فاقبل عليها نهمًا كالجائع المجوع، لا يمل مذاقها أبدًا ولا يشبع.

ولأنه يعرف" قدر" نفسه جيداً، اراد تعويض هشاشة رجولته بالظهور بمظهر الضابط الكفء، لذلك استجاب لتساؤلاتها، متباهيًا بأهميته وعلمه بأمور الجيش وأسراره، تندفع منه المعلومات العسكرية كالشلال المحبوس، لا شيء يصده، أو يمنعه، للدرجة التي جعلت (عيزرا) يستغيث برؤسائه في(عبادان)، أن يبعثوا بمن يتسلم عشرات التقارير الغاية في الأهمية، والتي لا يستطيع اختزالها وبثها لاسلكيأ!!.

لقد تحول العقيد (عبد الجبار) لكلب طيع أليف، أوهمته (جنة) بفحولته فعوضها بادق الأسرار العسكرية، وحمل إليها خرائط تفصيلية لقواعد الصواريخ، والدفاع الجوي والمطارات، ليستعين بها في شروحه. فكانت تبدو متغابية أمامه ليسترسل أكثر في فضح ما برأسه من خبايا الجيش، وتتضاعف بذلك أشرطة التسجيل والأفلام التي تحمل إلى إيران، ثم تنقل فورًا إلى (إسرائيل).

اتسعت عضوية شبكة الدكتور (عيزرا)، بفضل جسد الحبيبة المثير، لتشمل فئات أخرى عديدة في المجتمع الراقي بـ (بغداد) .

خمس سنوات كاملة اكتسب خلالها الطبيب اليهودي خبرات واسعة في فنون التجسس، وكيفية تجنيد العملاء والسيطرة عليهم، ملتزمًا بالحس الأمني العالي، والسرية المطلقة لتحركاته. فتعدى نشاطه التجسسي نطاق الجيش، والتسليح، وانشغل بكل ما يخدم مصالح (إسرائيل) في (العراق).

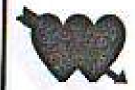
وبفضل علاقاته وتشعب مهامه، امكن له تهريب اكثر من مائتي يهودي عبر" الفاو" و" شط العرب" إلى ميناء (عبادان)، وتسريب تقارير اقتصادية وعسكرية لـ (إسرائيل) لا تقدر بثمن، فاغدقت عليه مخابراتها بالمال الوفير الذي ينفق منه بسخاء على اعوانه، ويشتري به ذمم الضعفاء في كل موقع يريد اقتحام أسراره.

هكذا استمر (عيزرا) يعمل في الخفاء، ملتزمًا بمبادئه كيهودي يعمل لصالح وطنه الجديد، مشجعًا لحبيبته في استدراج ضعاف النفوس إلى فراشها، حيث تنزف الرجولة وتنسل مع غياب العقل كافة الأسرار سهلة بلا ضوابط.

لقد سخر نفسه ووقته وحياته للجاسوسية، ونسى في خضم التزاحم امر الحب والغرام، على العكس من (جنة) التي التصقت به، ولم تنس للحظة ان هناك اتفاقًا بينهما على الزواج في (تل ابيب).

كانت تحس احيانا كثيرة بأن آمالها مجرد سراب كاذب. فبعد سنوات في الجاسوسية، لا شيء يتحقق، ولا احد يحس بمعاناة خوفها. فالعمر يجري وتذبل فيه أوراق الشباب، وتنطفئ رويداً.. رويداً..

تساءلت كثيراً: ما النهاية؟.. ما المصير؟.. وهل تحدث معجزة ويتحول الوهم إلى واقع؟



الشهور والسنوات الطويلة في انتظار الأمل ارهقتها، ودمرت بداخلها البهجة، وقطعت حبال الصبر والثقة، وزعزعت إيمانها بالعمل الذي" كان" مقدساً، إذ تملكها إحساس مقيت بانها مجردة داعرة حقيرة، تخلع ثيابها تلقائيًا لكل عابر..

في سبيل ماذا؟.. (إسرائيل)؟.. وهل يشعر من تعمل لصالحهم بمعاناتها؟.. بامتهانها لذاتها؟.. بجسدها الرخيص المنهك؟.. بالقرف الذي يصيبها بالغثيان وهي تشم رائحة الأفواه النتنة، والعرق اللزج المتعفن الذي يزيد التصاق الأجساد العارية كل ليلة؟..

أعداد من البشر لا تستطيع حصرها، من كل لون وحجم، هتكوا ستر انوثتها، وذبحوها ضحية لأمزجتهم.

كل ذلك من أجل من؟.. الأمل المنتظر بعيد المنال؟..

(عيزرا) الحبيب ابتعد هو الآخر.. لم تعد تشغله أو تثيره كما كانت من قبل.. فقد فترت غيرته ورغبته فيها، ولم تعد تمثل لديه اي شيء. فقط.. تحولت في حياته إلى مجرد" معاونة" تساعده في خدمة (الموساد)، وامرأة تستجيب له بلا تمنع كلما أرادها.. ونادرًا ما كان يفكر بذلك طوال الفترة الأخيرة.

فتامة بشعة عششت بافقها، وطحنتها رحى الفكر بعدما أضحت هشيم امرأة تتعذب، تتشقق المًا، لكنها آمنت بالا تخسره.

حساباتها المعقدة أوصلتها إلى تلك النتيجة، فتمنت أن يرجع لها الحبيب، العاشق، الغيور، وان يعاود عرض رغبته بالزواج..

لو فعلها ونطق، لوافقت في الحال.. لقبلت يديه وراسه وقدميه فرحة مطمئنة.. لكن.. هل ينطقها بعد سنوات من

الصمت؟.. إذن فلتحاول هي، فلا زالت تملك قدرًا من جاذبية، وسحر، بل هي تملك ينابيع من حنان.. كان عليها أن تهدأ قليلاً لكي تستعيد توازنها، وتتكلم معه، فتستريح.

* * *

أما الدكتور (عيزرا خزام)، فلم يكن يشك للحظة أن (جنة) التي تعشقه لدرجة العبادة قد تسعى لتدميره، وقتله. لذلك.. استعذب تلهفها عليه وتذللها له.. وفي أعماقه كان يغمره انتشاء محبب كلما رآها خاضعة مستسلمة.. خائرة أمام حبها.. وخوفها من ذلك المجهول المتوثب المنذر بالخطر.

كان طوال خمس سنوات قد مل مذاقها، وأصبح هاجسه الأكبر هو السعي بإخلاص لخدمة (إسرائيل). لهذا.. نبذ حبه القديم منذ اقتحم عالم الجاسوسية، وخطا فيه خطوات تفوق ما كان يعتقد في نفسه، وقدراته. إلا أن حادثًا عابرًا بدل فجأة كل شيء، وعجل بالنهاية.

لقد توقف ذات نهار بسيارته في إحدى إشارات المرور ب (بغداد)، وبينما ينتظر الإشارة الخضراء، لمح فتاة ساحرة تعبر الشارع، كانت قسماتها تفوق" أفروديت" جمالاً، خطواتها الرشيقة كظبي، يحجل طربًا فيزداد حسنًا. فتسمر مكانه يتابعها بناظريه منجذباً، وطاردها من بعدها بإصرار صياد لا يهمد.

كانت الفتاة قبطية تدعى (زهيرة)، صبية في ريعان شبابها، غضة بضة، تسلب العقل والفؤاد. تقدم الدكتور (عيزرا) لخطبتها باذلاً أمواله لاسترضاء أهلها، مستعدًا للتخلي عن يهوديته فور إعلان الموافقة.



احست (جنة) بنفوره منها، برغم مشاعر الحب الفياضة التي تغدقها عليه، وبحاستها الأنثوية أدركت بأن هناك امرأة. وبدأت رحلة البحث عنها حتى وقفت على الحقيقة المرة، فصعقتها الصدمة، وزلزلت ما بقي عندها من أمل ضعيف. ولما طالبته بأن يقطع علاقته بـ (زهيرة) ويتزوجها، سخر منها قائلاً:

- المرأة التي اعتادت كل الرجال، يشق عليها أن تكتفي برجل واحد.

صرخت في حدة:

- (عيزرا) .. ماذا تقول؟ أنت تعرف أنه" عملي".. وليس حبًا في الرجال.

قال فيما يشبه التهكم:

- نعم.. أعرف ذلك.. وأعرف أيضًا أن" عملك" انقلب إلى" هوس" ما له من علاج.

صارخة وقد تحشرج صوتها:

- هوس؟ أتسمي ما يحدث بيننا هوسًا؟..

- (جنة) ..

تقاطعه:

- خمس سنوات وأنا أمنحك نفسي..

قال في حدة:

- (جنة) .. أرجوكي..

الأني أحبك أكثر من نفسي.. وأعمل كل ما يرضيك ويسعدك توصمني بالشذوذ؟.. إذن.. ماذا كنت تظنني أفعل مع

طوابير اتباعك وزبائنك؟.. أأكون الداعرة المهذبة؟.. هم يرونني مهووسة.. فكنت افتعل ولا أنفعل.. كنت امنح ولا أمنح.. انت بنفسك طلبت مني مرات ومرات ان" أمثل" جميع الأدوار.. انسيت ذلك؟.. أم انك زهدت فيّ؟

- أحببتك يومًا ما وطلبتك للزواج فتمنعت.

-" يومًا ما"؟ اكنت تكرهني طوال السنوات الفائتة؟ لماذا إذن كنت تعاشرني حتى شهر مضى؟

- كفى.. كفى.. (جنة) ..

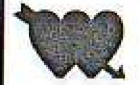
- لا.. اريد ان أعرف يا (عيزرا) .. لا تخجل من مصارحتي.. أرجوك قلها لأستريح.

ومصدومة، محطمة، منكسرة، لملمت بقاياها، وذهبت إلى السلطات تطلب السماح لها بالسفر إلى إيران للعلاج، وبعرضها على القومسيون الطبي، تبين أنها سليمة من الأمراض التي تستدعي السفر إلى الخارج.

لزمت (جنة) بيتها في محاولة "لتجميع" ذاتها المهترئة، إلى ان حدثت كارثة يناير 1966، عندما القي القبض على (زالة) العميلة اليهودية، اثناء اقتحامها مقر شركة الإنشاءات ليلاً.

لقد اعترفت (زالة) بحداثتها في عالم الجاسوسية، وبأن شريكها الذي مات بالسكتة القلبية في الشارع لحظة القبض عليه، هو رئيسها المسئول عنها -"ضابط الحالة"- وأن التكليفات تجيء من (عبادان) لباقي أعضاء الشبكة الذين لا تعرفهم.

ومع إعادة التحقيق معها عدة مرات، أوضحت بأن هناك طبيبًا يهوديًا لا تعرف اسمه الحقيقي، كان يأوي رئيسها الذي مات.



قامت أجهزة الأمن باعتقال عدد كبير من الأطباء اليهود المشكوك في تصرفاتهم وولائهم، ووضعتهم رهن التحقيق والاستجواب. وكان من بينهم الدكتور (عيزرا خزام) .

ولما علمت (جنة) بأمر اعتقال (عيزرا)، سيطر عليها الرعب والهلع، وفكرت في نهايتها إذا ما اعترف، وباتت تنتظر كل لحظة طرقات رجال الأمن على بابها. فانضوت هلوعة، ذابلة، زائغة البصر.

وبينما تقلب الصحف بحثا عن اخبار تهمها، قرات تصريحًا لمسئول كبير تعهد بمكافأة سخية لكل من يدلي بأية معلومات، تؤدي للقبض على جاسوس، وحماية أي عراقي يبلغ عن تورطه في أعمال جاسوسية، مهما كان حجمها.

قامت (جنة) على الفور وبدلت ملابسها، ثم غادرت منزلها إلى وزارة الداخلية، وطلبت مقابلة المسئول الكبير لأمر هام فسمح لها.. وأحست بصدق نبرته وهو يعيد تأكيد ما صرح به للصحف. فاعترفت تفصيليًا بأمر الدكتور (عيزرا)، وقصتها مع الخيانة.

هكذا كشفت كل الأسرار والخبايا، وهدمت المعبد على من فيه، إذ ألقي القبض على اثني عشر جاسوسًا في شبكة (عيزرا) وتكشفت حقائق مذهلة عن تورط العديد من اليهود العراقيين، وانخراطهم في عمليات تجسس ليس بنية العمل على تهجير اليهود فحسب، إنما طالت الأسرار العسكرية وكل نواحي الجيش في (العراق).

وكانت وقائع المحاكمة عجيبة.. والأحكام التي صدرت أعجب.. فقد صدر الحكم بإعدام الدكتور (عيزرا) و(عبد الجبار)

رميًا بالرصاص، والشنق والحبس للباقين الأحد عشر.. أما (جنة) المصدومة، فقد حكم عليها رأفة بالسجن خمسة أعوام.

أما (زهيرة)، فقد عادت من جديد تجوب شوارع (بغداد) كغزال شارد، تطاردها الأعين الجائعة، فلا تلتفت أو تنصت، خوفًا من الوقوع في غرام جاسوس آخر..!!

* * *

[إبراهام موشيه]
الـ " 36 "

وقف (روبرتو بيترو) أمام ضابط الجوازات في مطار (بغداد) الدولي وهو يقول:

- لماذا هذا التأخير يا سيدي؟

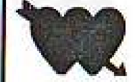
أجابه الضابط بأنها إجراءات أمنية بسيطة لن تستغرق كثيرًا.

- كم مرة جئت إلى (بغداد) من قبل؟

سريعًا أجابه الإيطالي المتذمر:

- إنها زيارتي الأولى لـ (العراق)، وقد جئت مندوبًا عن شركة (انتراتيكو) للمقابض في (روما)، لأعرض إنتاجنا على رجال الأعمال هنا، وأبحث إمكانية إقامة جناح لنا بسوق (بغداد) الدولي.

سلمه الضابط جواز سفره مصحوبًا بتمنياته الطيبة، فشكره (روبرتو) وغادر المطار، ليستقل سيارة أجرة إلى فندق (ريجنسي) بوسط (بغداد).



وفي حقيقة الأمر لم يكن (روبرتو) هذا سوى ضابط المخابرات الإسرائيلي (مولتي تشاو).

* * *

ولد لأب يهودي إيطالي وأم هنغارية، وعاش سني مراهقته في الشمال بمدينة" تريستا" الساحرة المطلة على بحر الإدرياتيك، وخدعته الدعاية اليهودية عن أفران الغاز التي التهمت ستة ملايين يهودي في ألمانيا، وبهرته شعارات الصهيونية والحياة الرغدة لليهود في (إسرائيل)، فهاجر إليها مع أمه رينالدا بعد وفاة أبيه.

هناك خدم في جيش الدفاع الإسرائيلي ثم في جهاز الشين بيت" الأمن الداخلي"، وأظهر كفاءة عالية في قمع الفلسطينيين، وتجنيد بعض الخونة منهم لحساب الجهاز بعد إجادته التامة للغة العربية.

لكن حادثًا مفاجئًا قلب حياته بعد ذلك رأسًا على عقب، إذ ضبط أمه عارية في أحضان يهودي يمني، تمكن من الهرب بسرواله تاركًا بقية ملابسه، فأصيب بنكسة نفسية كبيرة، إذ كانت أمه تمثل لديه صورة رائعة لكل معاني الحب والكمال، ولم يتصور أن امرأة مثلها في التاسعة والأربعين، قد تسعى إلى طلب الجنس، وتتعاطاه مع السائق اليمني.

عندها.. قرر ألا يعيش في (تل أبيب)، وقدم استقالته من عمله وحمل حقيبته عائدًا إلى مسقط رأسه، عازمًا على أن يعيش بقية حياته أعزب، فطالما خانت أمه، فلا أمان ولا ثقة بامرأة أخرى.

لكن (مايك هراري) ضابط (الموساد) الإسرائيلي الذي كان يبحث عن ذوي الكفاءات المخلصين لـ يطعم بهم أقسام (الموساد)

المختلفة، جد في البحث عن (روبرتو بيترو) حتى أدركه في (تريستا)، إلا أنه فشل في إقناعه بالعودة معه إلى (إسرائيل)، وتركه أربعة أشهر ورجع إليه ثانية ليخبره بوفاة أمه، ويجدد دعوته له بالعمل معه في (الموساد).

استطاع (هراري) بعد جهد العودة بـ (روبرتو) إلى (تل أبيب)، وألحقه فورًا بأكاديمية الجواسيس ليتخرج منها بعد ستة أشهر جاسوسًا محترفًا، يجيد كل فنون التجسس والتنكر والتمويه والقتل، عنده القدرة على تحمل صنوف التعذيب المختلفة، وأساليب الاستجواب الوحشية لإجباره على الاعتراف، إذا ما سقط في قبضة المخابرات العربية.

اكتشف خبراء (الموساد) مقدرته الفذة على مقاومة الألم، إلى جانب ذكائه الشديد وإجادته الإقناع بوجهه الطفولي البريء، الذي يخفي قلبًا لا يعرف الرحمة.

كل هذا يضاف إلى خبرته التي لا حدود لها في عالم الإلكترونيات، وتكنولوجيا الاتصالات، وموهبته الفائقة في تطوير أجهزة اللاسلكي، التي يستخدمها الجواسيس في بث رسائلهم.

ومنذ وصل (روبرتو) لفندق (ريجنسي)، تتبعه السيارة "الماسكوفيتش"، وعقله لا يكف عن التفكير فيمن يراقبه ويقتفي أثره؟ أيكون ضابط مخابرات عراقيًا؟ أم أحد أعضاء الشبكة؟

استبدل ملابسه على عجل وخرج من باب الفندق يمسح المكان بعيني صقر باحثًا عن "الماسكوفيتش" فلا يجد لها أثرًا، وفي شارع "السعدون" توقف أمام إحدى الفترينات وتأكد من خلال زجاجها العاكس بأن هناك من يراقبه، فاختفى فجأة بمدخل



إحدى البنايات وتسمر مكانه في الظلام، وبعد برهة يدلف شبح مسرعًا فيصطدم به، وقبل أن تهوي على رأسه قبضة (روبرتو) الحديدية، يصيح الشبح على الفور:

-" مولتي تشاو".

إنها كلمة السر المتفق عليها، ليس في بئر السلم، ولكن بمكتب الخدمات العامة، الواقع على بعد عدة بنايات ويمتلكه (إبراهام) (موشيه)، الذي كان يراقب (روبرتو) بنفسه، وأوشك الأخير أن يحطم فكه بقبضته.

* * *

لم يكن (موشيه) يهوديًا عراقيًا فحسب، بل زعيمًا محترفًا لشبكة جاسوسية إسرائيلية داخل (العراق)، استطاع أن يمد نشاطه حتى "الكويت" و"سوريا"، متخذًا من عمله في التجارة والاستيراد ستارًا يخفي وراءه حقيقته، وكانت له قصة مثيرة تستحق منا أن نسردها، ونتتبع معًا كيف انجرف مستسلمًا في تيار "الخيانة" منذ صباه، مضحيًا بكل شيء في سبيل الوصول إلى مأربه، ضاربًا عرض الحائط بالأمانة والشرف.

كانت بدايته في ضاحية دوما بالقرب من دمشق. ولد لأم يهودية سورية، وأب يهودي عراقي يعمل دباغًا للجلود، امتلك ناصية الحرفة، وأقام مدبغة في (بغداد) بعد ستة أعوام من العمل الجاد في سوريا، إذ هرب فجأة إلى موطنه الأصلي ومعه أسرته الصغيرة، بعد ما اتهم باغتصاب طفل مسيحي دون العاشرة، فعاش في (بغداد) يحاصره الخوف من مطاردة أسرة الغلام أو السلطات السورية. لكنه لم يرتدع بعد هذه الحادثة، إذ واجهته هذه المرة تهمة اغتصاب طفل آخر في (بغداد) .

ولأنه أثرى ثراءً فاحشاً، دفع مبلغا كبيرًا لوالد الطفل رقيق الحال، فتبدلت الأقوال في محضر الشرطة، وخرج (موشيه) ببراءته، ليمارس شذوذه على نطاق أوسع مع غلمان مدبغته، إلى أن وجدت جثته ذات يوم طافية بأحد الأحواض الملينة بالمواد الكيماوية المستخدمة في الدباغة، وكان ابنه (إبراهام) وقتئذ في الثانية عشرة من عمره، وأخته الوحيدة (ميسون) على أعتاب السابعة.

باعت الأم المدبغة، وهربت بثمنها إلى مكان مجهول مع السمسار اليهودي الذي جلب لها المشتري، وتركتهما يواجهان مصيرهما لدى عمهما البخيل، ويتذوقان على يديه صنوف القهر والقسوة كل لحظة.

...

وأمام تلك المعاناة، ترك (إبراهام) مدرسته، والتحق بالعمل كصبي بورشة لسبك الفضة يمتلكها تاجر يهودي، بينما عملت أخته كخادمة بمنزل عمها مقابل الطعام، واكتشف (إبراهام) ميلا لديه للسرقة، فمارس هوايته بحذر شديد في سرقة المعدن الخام قبل سبكه ووزنه دون أن يلحظه أحد.

وما أن بلغ مرحلة المراهقة باندفاعها وطيشها، حتى ظهرت عنده أعراض الشذوذ كوالده، وإن كانت تختلف في الأسلوب والاتجاه، وكانت ضحيته الأولى أخته التي كان ينام معها في فراش واحد بإحدى الحجرات المنعزلة، فكان يحصل منها على نشوته الكاملة وهي تغط في سبات عميق.

وذات ليلة.. استيقظت (ميسون) على غير العادة، ولاذت بالصمت المطبق تجاهه عندما أحست به يتحسس جسدها، فهو شقيقها الذي يحنو عليها، ويجيئها بالملابس الجديدة والحلوى، ويدافع عنها ضد جبروت عمه وزوجته، ويطلب منها دائمًا الصبر



على قسوة الظروف، طائرًا بها في رحلات خيالية بعيدًا عن منزل عمهما، فكانت لكل ذلك تسكت عليه.

ولما ظهرت عليها صفات الأنثى وعلتها مظاهر النضوج، استشعرت لذة مداعباته التي أيقظت رغباتها، فتجاوبت معه على استحياء شديد في البداية، إلى أن استفحل الأمر بينهما للمدى البعيد العميق، فهرب بها إلى (البصرة)، بين أمتعتهما صندوق عجزا عن حمله، كان بداخله خام الفضة الذي سرقه على مدار عشر سنوات كاملة من العمل بالمسبك.

وهناك.. معتمدًا على خبرته الطويلة، أقام مسبكًا خاصًا به بحصيلة مسروقاته، واكتسب شهرة كبيرة بين التجار، وأثرى ثراء فاحشًا بعد أربع سنوات في البصرة.

كانت (ميسون) في ذلك الوقت قد تعدت التاسعة عشرة، جميلة يانعة تحمل صفات أمها الدمشقية، ذات جسد ملفوف أهيف، ووجه أشقر تتوجه خيوط الذهب الناعمة، عيناها الناعستان كحبتي لؤلؤ تتوسطهما فيروزتان في لون البحر، وفم كبرعم زهرة يكتنز بالاحمرار والرواء، وأنوثة طاغية تشتهيها الأعين.

وأحبت (ميسون) جارها، وتمكنت منها المشاعر، فهربت كأمها مع الحبيب إلى أقصى الشمال.. إلى الموصل، فتزوجته مخلفة وراءها (إبراهام) يلعق الذكريات ويكتوي بنار الوحدة، تنهشه أحزانه فيتخبط مترنحاً، وتميد به الخطوات تسعى إلى حيث لا يدري، ويتحول إلى إنسان بائس.. ضعيف وحيد.

في هذا المناخ يسهل جدًا احتواؤه بفتاة أخرى، تشفق عليه وتقترب منه عطوفة رقيقة، وهذا بالفعل ما حدث، إذ قربته (راحيل) إليها، ولازمته في قمة معاناته للدرجة التي يصعب عليه الابتعاد عنها.

ولأنها ابنة يهودي يعمل لحساب (الموساد)، وكان لها دور فعال في نشاطه التجسسي، استطاعت أن تضمه بسهولة إلى شبكة والدها.

ولم لا؟.. إنه خائن بطبعه منذ الصغر، استلذ الخيانة عشر سنوات مع صاحب المسبك، وخان الشرف والأمانة عندما انتهك حرمة اخته، ذابحًا عفافها غير مبال بالدين أو القيم، فإن مثله معجون بالخيانة، ليس يصعب عليه ان يخون الوطن أيضاً، فكل القيم عنده طمست معالمها وغطاها الصدأ.

* * *

في (بغداد) استأجر (ابراهام) منزلاً رائعاً، وافتتح مكتبًا وهميًا للتجارة بشارع "السعدون"، والتحق باحد المعاهد المختصة بتعليم اللغة الإنجليزية، وجند أول ما جند شابًا يهوديًا يعمل مترجمًا للغة الروسية، له علاقات واسعة بذوي المناصب الحساسة في الدولة، كثير السفر إلى موسكو بصحبة الوفود الرسمية، كان دائمًا ما يجيء محملاً بالسلع والكماليات، معتمدًا على (ابراهام) في تصريفها.

كان تجنيده بعيدًا تمامًا عن الجنس أو المال. إذ كان (شوالم) غالبًا ما يحكي لـ (إبراهام) اسرار سفرياته وتفاصيل ما يدور هناك بين الوفدين العراقي والسوفييتي، ولم يكن يخطر بباله ان احاديثه مع (إبراهام) كانت كلها مسجلة.

وعندما استدرجه ذات مرة للخوض في ادق الأسرار، تشكك (شوالم) في نواياه فامتقع وجهه واستبد به الخوف، وعلى الفور عالجه (إبراهام) بالحقيقة، وأكد له بانه استفاد كثيرًا من احاديثه ونقلها حرفيًا للإسرائيليين، فحاول الشاب أن يفلت بجلده



من مصيدة الجاسوسية، لكن شرائط التسجيل المسجلة بصوته كبلته، فخضع مضطرًا لابتزاز عميل (الموساد).

كانت تجربته الأولى الناجحة قد زادته ثقة في نفسه، واخذ يبتز (شوالم) إلى آخر مدى.

فمن خلاله تعرف (ابراهام) على مهندس يهودي، يعمل بأحد مصانع الأسمنت في (بغداد)، تردد كثيراً، على منزله برفقة (شوالم) في بادئ الأمر، ثم بمفرده بعد ذلك حيث شاغلته (راحيل) برقة متناهية، وأوحت إليه نظراتها وابتساماتها السحرية بعالم آخر من المتعة، لكنها لم تعطه شيئا مما أراد، وأيضا لم تتجاهله، فحيره أمرها كثيراً، وما بين شكوكه في تصرفاتها حياله، واستغراقه في تفسيرها، أدمن رؤيتها طامعًا فيما هو اكثر، ليستسلم في النهاية صاغراً، ويستجيب لأوامرها عندما طلبت منه معلومات عن المواقع العسكرية التي تتسلم حصص الأسمنت.

وعندما سلمته أربعمائة دينار مقابل خدماته، صدمته الحقيقة التي تكشفت له، فهونت عليه الأمر وشرحت له الكثير عن واجب اليهود إزاء وطنهم الجديد، (إسرائيل)، وأمام فتنتها القاتلة لم يتبرم أو يعترض، بل تطوع — إرضاء لها — بجلب المعلومات الحيوية دون تكليف منها، عازفًا عن العمل بمقابل مادي لقاء خدماته، على أمل الهجرة إلى (إسرائيل) في أقرب فرصة، وتوفير فرصة عمل له هناك.

ولما أدركت هي ما يصبو إليه، لعبت على أوتار أمنيته، ووعدته بتحقيقها في التقريب العاجل.

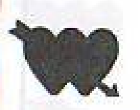
استتر (ابراهام) خلف مكتبه التجاري، وزيادة في التمويه.. قام بشحن كمية من فاكهة البرتقال إلى الكويت، بواسطة سيارة نقل

كبيرة "برّادة" يقودها سوري عربيد من السويداء، يعشق الخمر العراقي والنساء، له زوجة سورية في "درعا"، وأخرى عراقية في "المقدادية"، وثالثة إيرانية في "كرمشاه".

كان السائق زنديقًا لا ديانة له، اسمه(خازن) وشهرته "شاخص" لشخوص واضح في عينيه، استطاع هذا الـ (خازن) أن ينال ثقة (ابراهام) خلال فترة وجيزة من العمل لديه في نقل الفاكهة إلى الكويت، ولأنه سائق فقط على البرادة، تسلل (ابراهام) إلى عقله ووجدانه، ووعده بأن يمتلك مثلها إذا أخلص إليه" وتعاون" معه.

في إحدى زياراته لزوجته السورية، تمكن "شاخص" من الحصول على بعض المعلومات التي تتصل بالتحركات العسكرية السورية على الجبهة، وبعض القواعد الجوية التي تطورت منشآتها وتحصيناتها، كما وطد علاقته بأحد المتطوعين في الجيش السوري من أقرباء زوجته، استطاع بواسطة الهدايا التي أغدقها عليه، أن يتعرف من خلاله على أسرار هامة، تمس أمورًا عسكرية روتينية ويومية، قام بنقلها إلى (ابراهام) بأمانة شديدة، فمنحه مبلغًا كبيرًا شجعه على أن يكون أكثر إخلاصًا في البحث عن المعلومات العسكرية، ليس في (سوريا) فحسب، بل وفي (الكويت) أيضاً.

كانت (الكويت) في ذلك الوقت إمارة صغيرة غنية، سمحت للعديد من العراقيين والإيرانيين بالإقامة وبعض حقوق المواطنة، فضلاً عن العديد من أبناء الجنسيات العربية الأخرى الذين تواجدوا بها منذ سنوات طويلة. ومن بين هؤلاء كانت توجد نفوس ضعيفة يسهل شراؤها، خاصة أولئك الذين يشعرون بالدونية وبأنهم مواطنون من الدرجة الأدنى.



استطاع (خازن) أن يستثمر ذلك جيدًا في شراء ذمم بعضهم، وحصل على معلومات دقيقة عن انواع الأسلحة المتطورة في الكويت، ومخازنها، ونظم التدريب عليها، وعدد المنخرطين في الجيش الكويتي، وبعثات الطيارين في الدول المختلفة. وامتد نشاطه الأفعواني إلى دول "الخليج العربي" وإماراته الأخرى. فمكن بذلك (ابراهام) من تجميع ملفات كاملة، تحوي الكثير من المعلومات العسكرية والاقتصادية والتجارية عن الكويت ومنطقة الخليج.

* * *

تحير ضباط (الموساد) في أمر عميلهم (ابراهام)، فقد كان لا بد من حمايته كي لا يغتر بنفسه فيكشف أمره، وحمايته ليست بالطبع بواسطة حراس مسلحين، وإنما بتدريبه تدريبًا خاصًا لرفع الحس الأمني لديه، والوصول بكفاءته كجاسوس محترف إلى درجة أعلى في الخبرة والمهارة، فاستدعى للسفر إلى (عبادان) على وجه السرعة، حيث كان ينتظره خبيران من (الموساد) أحدهما (روبرتو بيترو)، جاء خصيصًا من أجله.

مكث (ابراهام) معهما تسعة عشر يوماً، أخضع أثناءها لدورات مكثفة في كيفية فرز المعلومات وتنقيتها، والسيطرة على هذا الكم الهائل من العملاء الذين يدينون بالولاء لـ (إسرائيل)، هذا فضلاً عن تدريبه على كيفية الإرسال بالشفرة، بواسطة جهاز لاسلكي متطور أمدوه به وجهاز راديو لاستقبال الأوامر. ورجع (إبراهام) إلى (العراق) يزهو بالحفاوة التي قوبل بها، وبالتدريب الجيد الذي ناله، وبالأموال الطائلة التي ما حلم بمثلها يوماً.

سُرّت (راحيل) بالهدايا الثمينة التي حملها إليها. وجهاز الراديو الترانزستور الحديث بين أمتعته، والذي هو في الأصل جهاز

لاسلكي تتعدى قيمته الآلاف من الدولارات.. وفي أولى رسائله إلى (الموساد) طمانهم على وصوله بسلام، وبثهم تحيات زوجته، وتلقى ردًا يفيد استلام رسالته، وتمنياتهم الطيبة لهما بعمل موفق.

في الحال شرع (ابراهام) في الاتصال بأعضاء الشبكة، وطلب منهم معلومات محددة كل حسب تخصصه، وأمدهم بآلاف الدنانير ليغدقوها على عملائهم، فاثبت كفاءة عالية في إدارة شبكته بمهارة.

* * *

وذات يوم بينما كان في الموصل، لم يصدق عينيه وهو يقف وجهًا لوجه أمام (ميسون) في احد الميادين، وحين الجمتها المفاجأة أسرعت بالفرار وسط الزحام تتلفت خلفها، بينما غادر سيارته "الماسكوفيتش" ملهوفًا وأسرع وراءها، تمر برأسه الوان من الذكريات البعيدة لم يستطع نسيانها. فلما أدركها، ملتاعة صرخت، فطمأنتها نظراته المليئة بالحب والشوق، ومشت معه إلى السيارة ترتعد، وقد انحبست الكلمات في حلقومها.

وفي الطريق إلى منزلها.. عاتبها كثيراً، وشكا لها قسوة المعاناة التي عايشها من بعد هروبها، وعلى المقود هجمت عليه أشجانه، وغلبته دموعه فاستسلم لها، في حين شهقت اخته باكية تستعطفه، وترجوه ان ينسى ما كان بينهما، وأشارت إلى بطنها المنتفخ قائلة إنه الابن الثالث لها.

لكن يهوديًا خائنًا وشاذًا مثله، لم يكن مؤهلاً لأن يستجيب لرجفة الخوف والضعف عند عشيقته الأولى في حياته..

فما إن وصلا إلى منزلها، وكان خاليًا من زوجها، إلا وطالبها بحمل مستلزماتها وولديها والعودة معه إلى (بغداد) . رفضت



(ميسون) مسترحمة، فانهال عليها ضربًا وركلاً غير مبال بصراخ الصغيرين، وأمام إصرارها على الرفض، طالبها بحقه.. فيها!..

هكذا نال ما أراده منها، مدعيًا انه حق مكتسب له، وواجب عليها ان تؤديه.. كلما طلبها.

رجع (بغداد) مكدرًا ليجد (راحيل) تعاني آلام الحمل الأول في شهوره الأخيرة.. وبعد أسبوع اخذها في الفجر إلى المستشفى، فولدت جنينًا ميتاً، سرعان ما لحقت به هي الأخرى بسبب حمى النفاث، كانما أراد الله ان يقطع ذريته إلى الأبد، ويحرمه من مشاعر الأبوة، فيظل وحيدًا كشجرة جافة بلا جذور، تطيح بها الأنواء فتتكسر.

ولأول مرة - منذ هجرته (ميسون) في البصرة- تفتك به الوحدة.

* * *

في (تل أبيب) اجتمع ضابط الارتباط بمرؤوسيه، وقرأ عليهم رسالة عاجلة بثت من (بغداد) تقول:" *دوف: أمر بظروف نفسية معقدة.. لا أستطيع الاستمرار في العمل.. لن اكون ذا نفع لكم من الآن.. ابعثوا بمن يقود المجموعة.. سأنتظر ردكم بلا اوامر في الميعاد: شالوم*".

وجم الجميع، فإشارات الرسالة ورموزها السرية صحيحة، بما يفسر عدم وقوع العميل في قبضة المخابرات العراقية، ماذا حدث إذن؟.. كانت هناك شكوك في فحوى الرسالة، فهي إحدى المرات القلائل، التي يتسلم فيها (الموساد) رسالة غامضة كهذه من عميل نشط.

وفسر البعض ذلك بانه ربما كشف امره واعترف بكل شيء، وضبط بنوتة الشفرة رموز الاستهلال والختام السرية المتفق عليها. لكن ضابط الارتباط استبعد ذلك، فالعميل يحفظ الرموز جيدًا عن ظهر قلب ودرب كثيرًا على ذلك في (عبادان)، ولو أن أمره قد انكشف وأجبر على بث الرسالة، لعكس الأرقام. وكان لابد من معرفة حقيقة الوضع في (العراق).

عندئذ بعثوا اليه برسالة مغلوطة سرعان ما جاءهم رده يطلب إعادة البث مرة أخرى، ولما عجز عن فك رموزها، أيقن أن هناك خطأ ما، فبث رسالة تأكيدية أخرى ضمنها إشارت سرية بديلة أراحتهم وطمأنتهم.

على الفور أرسلوا إليه بايراني خبيث، يدعى (طباطباني حبرون) يعمل لحسابهم في (طهران)، تسلل إلى (العراق) بأوراق مزورة تحمل اسم (رضائي عبد الرضا)، التقى بـ (ابراهام) الذي كان شارد الذهن منكسر المزاج، واستطاع بعد لأي أن يعيد إليه توازنه، ويقنعه بالاستمرار في العمل، خاصة و(إسرائيل) في تلك الفترة كانت تمر بظروف مختلفة، بعدما انتصرت على العرب في حرب يونيو 1967، هذه الظروف كانت تستدعي العمل بجد ترقبًا لرد عربي وشيك، قد يدمر (إسرائيل) ويقضي عليها.

لقد وعده (طباطباني) بحياة رغدة في (إسرائيل) بعد انتهاء مهامه، فحرك فيه روح الحمية والعداوة ضد العراقيين، الذين أمدوا الجيوش العربية بالسلاح والعتاد لضرب (إسرائيل)، فلما نجح الخبيث في مهمته مع الجاسوس المحبط، عاد من حيث أتى، فلقد استرد (إبراهام) طاقته ومواهبه من جديد، ومارس الجاسوسية على أوسع نطاق، إلى أن وقع حادث خطير زلزل كل شيء.



فبينما كان يحمل جهاز اللاسلكي متوجهًا به إلى مخبئه بسطح منزله – وقد انتهى لتوه من بث رسالة لـ (تل أبيب)– زلت قدمه على السلم، فسقط منه الجهاز الثمين وتبعثرت محتوياته الداخلية.

حينئذ أصيب (إبراهام) بالفزع، واعتراه اضطراب رهيب. وكتب على الفور رسالة بالحبر السري إلى (الموساد) في (اثينا)، يطلعهم على الخبر الصاعقة. وعقد على الفور اجتماع ضم نخبة من خبراء (الموساد)، اتخذ فيه قرار نهائي بإرسال (روبرتو بيترو) إلى (بغداد) لإصلاح الجهاز المعطل.

اطلع ضابط (الموساد) على المهمة التي كلف بها، وحسب الخطة الموضوعة سافر إلى (روما) حيث تسلم وثيقة سفر إيطالية، وتمت تغطية شخصيته الجديدة كمندوب لشركة (انتراتيكو) الإيطالية للمقابض، حيث سجل اسمه في جميع الدوائر، توقعًا السؤال عنه من قبل مكتب المخابرات العراقية في (روما) .

فما إن وطأت قدماه مطار (بغداد) الدولي، حتى كانت عيون مخابراتها ترصده عن بعد. فالجواسيس في تلك الفترة كانوا كمرتادي دور السينما، لا عدد لهم، أغلبهم من يهود (العراق) الذين ينعمون بالأمن، وأبوا إلا أن يعترفوا بـ (إسرائيل) وطنًا أولاً لهم. فباعوا أمن (العراق) وهتكوا ستره، ونقبوا عن أسراره لحساب (الموساد).

* * *

ما إن رصدت أعين المخابرات العراقية مطاردة (إبراهام) لـ (روبرتو) حتى كشفت من رقابتها، فهناك أمر ما يجمعهما معاً.

وتأكد لهم ذلك من لقاء بئر السلم بشارع "السعدون". وبينما البحث يجري في (روما) عن حقيقة (روبرتو) المجهول، كانت الأجهزة اللاقطة قد زرعت بمكتب (إبراهام)، الذي تسلل إليه (روبرتو) دون أن يلحظ وقوف سيارة" فان" سوداء ذات ستائر غليظة، بداخلها أحدث أجهزة التنصت التي تنقل أنفاس من بالمكتب، إضافة إلى عربة جهاز تتبع الذبذبات اللاسلكية التي جيء بها من موسكو. فقد كانت تطوف بالمكان بلا انقطاع.

بعد قليل سمع بوضوح رنين جرس الباب، ووقع أقدام تتحرك، وفجأة.. انبعث صفير حاد عطل عملية التنصت. فخبير (الوساد) المدرب، وبحسه الأمني العالي، أدار جهاز التشويش الذي جلبه معه، تحسباً.

وعلى مدار تسعة أيام في بداية عام 1968، لم تسفر المراقبة عن شيء ذي قيمة، فـ (إبراهام) ماكر للغاية، وضيفه يقوم بمناورات عجيبة للتخفي استدعت تغيير فرق المراقبة والرصد كل عدة ساعات، فضلاً عن جهاز التشويش الإلكتروني الطنان، الذي أفشل عملية التسجيل.

وبالرغم من أن التحريات التي جاءت من (روما) أكدت بأن (روبرتو) إيطالي لا شك في ذلك، لكن الأمر كان يبدو محيرًا حقاً، فالساعات التي كان يقضيها بالمكتب مع (إبراهام)، كانت دائمًا تثير شهية الاقتحام.

وبينما كان الجو مشحونا بالقلق والاضطراب، فجأة، ودون توقع.. التقط جهاز كشف الذبذبات اللاسلكية إشارات متقطعة لا تكتمل، تبث لاسلكيًا من منطقة السعدون، فصرخ أحد الخبراء قائلاً



إنها تشبه إشارات جهاز لاسلكي معطل، ويجري إصلاحه وتجربته، وعلى الفور صدرت أوامر عليا بمداهمة المكان. وكانت المفاجأة كما توقعها الضابط العراقي، حيث وجد (روبرتو) منهمكًا في إصلاح اللاسلكي، و(إبراهام) يراقبه.. .

صعق العميلان.. ولهول الصدمة تسمرا في مكانيهما، فانقض عليهما الرجال وكبلوهما واقتيدا مغميان لمبنى المخابرات، حيث جرى استجوابهما في ذات الليلة، فاعترف (إبراهام) بكل شيء، بينما التزم (روبرتو) الصمت رغم التعذيب الذي لاقاه، كان جسده قد من صخر، لا رابطة بينه وبين مخه.

وبعد ثلاث ليال من التجويع والعطش انهار (روبرتو) تماماً، وأقر بأنه ضابط مخابرات إسرائيلي، جاء لمهمة إصلاح الجهاز" فقط" لا للتجسس ضد (العراق)!

وأسفر التحقيق مع العميلين عن مفاجآت عجيبة لم تخطر ببال العراقيين أبداً، فقد تبين أن شبكة (إبراهام) تضم 36 جاسوساً، هم في مجموعهم خليط عجيب من يهود عراقيين، وإيرانيين، وإسرائيليين من جنسيات مختلفة، ألقى القبض على غالبيتهم في غضون أربعة أيام، وقدموا إلى المحكمة العسكرية العليا، وكانت هي المرة الأولى، في عهد الجاسوسية الإسرائيلية في (العراق)، التي يحاكم فيها ستة وثلاثون جاسوساً، تضمهم شبكة جاسوسية واحدة.

وبقدر سعادة رجال المخابرات العراقية لضبط هذه الشبكة الخطيرة، كانت الصدمة قاسية جدًا في (إسرائيل)، وأمهر رجالها يعدمون في سبتمبر 1968 بـ (بغداد) .

إنها صدمة ما بعدها صدمة، إذ افقدت (الموساد) الثقة بأن رجالها اذكى رجال المخابرات في العالم، وتأكد لها بما لا يدع مجالاً للشك، ان هناك في (العراق)، وفي سائر الوطن العربي، رجال أشد ذكاء وضراوة وخبرة.

* * *

"الزعيمة"

لم تكن رحلة ترفيهية تلك التي خاضتها(شولا كوهين) من (اليعقوبة) شمالي (بغداد)، إلى (البصرة) فـ"ميناء عبادان" الإيراني.. إنما كانت رحلة مأساة عجيبة شاقة، يخيم عليها القلق والخوف والحذر، وتحمل مع كل خطوة رائحة العذاب والموت، سعيًا وراء حلم الوطن الجديد في (إسرائيل).

تحملت (شولا) ذات السبعة عشر ربيعًا ما يفوق طاقتها، إلى أن وصلت وعائلتها لـ"ميناء حيفا". وما أن استقرت في (تل ابيب) حتى صفعتها الكوارث واحدة تلو الأخرى، دون ان تدرك الصغيرة البضة، لماذا؟

فعندما قتل والدها في انفجار عبوة ناسفة بسوق (تل ابيب) تأوهت هلعًا لا تصدق.. وازداد صراخها المكتوم وهي ترى أحلامها تتحطم فوق صخرة الوهم شيئًا فشيئاً. فـ(إسرائيل) ليست هي الـ(جنة) الموعودة، بل (الخدعة الكبرى) التي روجوا لها، ومن اجلها ضحوا بالكثير في سبيل الهرب من (العراق).

مات والدها فلم تقو أمها على تصديق الحقيقة، فخرت صريعة المعاناة والمرض، والفت (شولا) صراخ شقيقها الأكبر، محتجًا



على ميراث أبيه للأبناء الستة والمسؤولية التي أثقلت كاهله، حتى التقت (عازار)، ونبض قلبها الصغير بالحب لأول مرة، وظنت أن ثمة أمل جديد أشرق بحياتها، بيد أنها فجعت شر فجيعة بقتله هو الآخر في اشتباك مسلح مع أصحاب الأرض والوطن.

هكذا أسودت الحياة في وجهها وركنت إلى الصمت والانزواء تفكر فيما أصابها، وماذا عساها أن تفعل؟ فتملكتها رغبة الانتقام من العرب، لكن شغلتها معاناة الحياة اليومية، والجوع الذي لا يكف صراخه ينهش العقل والبدن.. وبعد عام ماتت أمها، وطفق شقيقها ينفث غضبه بوجه إخوتها، فخرجت تسعى للعمل بإحدى العيادات بشارع" تساهالون هاروفيم"، ووفقت في الحصول على وظيفة مؤقتة، لمؤهلاتها الأنثوية المثيرة الصارخة فاسبغ عليها الراتب الضئيل مسحة من الطمأنينة والثقة بنفسها، واحسب بالعيون الجائعة تعريها كل لحظة وترغبها.

فالجسد المشوق المتناسق الأعضاء يغري بالالتهام، والعيون الناعسة الواسعة ذات الرموش الطويلة الكثيفة ترسم أروع صور العناق، والفم المبسام الأملود الدقيق يوحي بمذاق القبل.

وطاردتها العيون والشهقات والهمسات والأيدي الجائعة، فاستسلمت لجنرال في الجيش الإسرائيلي من أصل بولندي يجيد العربية، كان دائم التردد على العيادة، وبين يديه تكشفت لها خطوط الحقيقة وتفاصيلها، فقد أدركت لأول مرة أنها تملك سلاحًا فتاكًا تستطيع به أن تقهر أية قوة.. أنوثتها الطاغية.. وكانت تشبه قنبلة ذرية تذيب بلهيبها الأجساد، وتسيطر بها في يسر على الأعصاب والعقول.

اغدق عليها الجنرال الإسرائيلي بالمال والهدايا، فظنت انها امتلكته، حتى استوعبت الأمر في النهاية. فالجنرال ما هو إلا ضابط

كبير في جهاز المخابرات، تقرب إليها مستغلاً ظروفها، وعلى وعد بتأمين حياتها أغرقها في محيط الجنس والمال، ثم كاشفها برغبته في أن تعمل لصالح الجهاز لتحافظ على أمن (إسرائيل) من جهة، ومن جهة أخرى كي تعيش عيشة رغدة لا تحلم بها فتاة في مثل سنها في (إسرائيل).

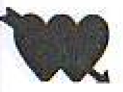
لم تكن (شولا) أمام واقعها المؤلم تستطيع رفض هذا العرض. فهي تحلم بالمجد المفقود الذي كم رنت إليه، إضافة إلى استيقاظ رغبة الانتقام لديها من العرب الذين قتلوا والدها وحبيبها، وتسببوا في موت أمها كمداً.

لكل ذلك أعلنت موافقتها راضية مقتنعة، لتبدأ بعدها أغرب مغامراتها في عالم المخابرات والجاسوسية، فتستحق عن جدارة لقب "الزعيمة" الذي أطلق عليها في (الموساد)، ذلك لأن ما قامت به لصالح (إسرائيل) على مدى تسع سنوات متصلة، مثير جداً.. وجريء.. وعجيب كل العجب!!

* * *

التحقت (شولا ارازي كوهين) بـ (الموساد) قانعة، وخضعت لتدريب مبدئي في مبنى خاص يقع في" كيريا" بـ(تل أبيب)، وأوكلت لأمهر خبراء (الموساد) مهمة ترويض تلك المخلوقة العجيبة الجمال ليصنعوا منها جاسوسة ذكية، مثقفة، لبقة، تجيد إدارة الحوار واجتذاب الرجال والسيطرة على أعصابهم.
ونظرًا لكونها شرقية من (العراق) ولم تحظ بقدر كاف من التعليم.. فقد بعثوا بها إلى (لندن) لتمتزج بالمجتمع والدنيا هناك وتتعلم التحدث بالإنجليزية.

وعلى مدار عام ونصف العام استطاعوا أن يستخرجوا منها خلاصة مخلوقة ثانية، مدربة على فنون التجسس والإغواء



والسيطرة. وبأوراق ثبوتية مزورة، سافرت إلى (بيروت) في سبتمبر 1952، لتبدأ من هناك أولى مهامها التجسسية واثقة من قدراتها الفائقة، لا تحمل أسلحة فتاكة سوى جسدها المثير.

وفي ساحة المطار الخارجية، تهافت عليها سائقو الأجرة، وأوصلها أحدهم إلى وسط (بيروت) حيث نزلت بفندق" الجراند أوتيل"، وفي المساء غادرت الفندق تملأ مسامعها شهقات الإعجاب طوال تجوالها في شوارع المدينة المكتظة بالجمال.

كان عليها أن تستتر وراء وظيفة ما، أو مهمة جاءت بها إلى (بيروت)، ولم يكن الأمر بحاجة إلى إثباتات. فقد ادعت بأنها مندوبة لإحدى الشركات السياحية الأوروبية، جاءت للبحث عن وكلاء في (لبنان)، فانفتحت لها بذلك الأبواب المغلقة، واقتربت كثيرًا من ترسيخ أقدامها تمهيدًا للعمل.. خاصة بعدما تركت الفندق، وانتقلت إلى إحدى الشقق الفاخرة ببناية" الأمباسادور" الشهيرة.

كانت مهمتها الأولى البحث عن مسئول لبناني له نفوذ قوي في الدوائر الرسمية، تستطيع من خلاله أن تنفذ إلى ما تصبو إليه.. وأخيرًا عثرت على ضالتها في شخص موظف كبير اسمه(محمود عوض).. كان يشغل آنذاك أكثر من ست وظائف حكومية.. فذهبت لمقابلته للاستفسار عن إجراءات تمديد إقامتها، فسقط في شباكها وخر صريع سحرها، وتعمد تطويل الإجراءات ليراها كثيراً، فتركت له جواز سفرها وأخلفت ميعادها معه.. ثم اتصلت هاتفيًا به لتخبره بمرضها وأعطته عنوان شقتها ليرسل به إليها.

وكما توقعت الجاسوسة المدربة، فقد ذهب إليها اللبناني الذائب بنفسه يحمل جواز سفرها وباقة من الورود، فاستقبلته بملابس شفافة تفضح معالم جسدها، وكان عطرها الفواح

الذكي ينشر جوًا من الأحلام والرغبة والاشتهاء.. ومنحته في النهاية جسدها مقابل خدمته.. فبات منذ تلك اللحظة عبدًا لجمالها تحركه كيفما تشاء، ولا يرفض لها امرًا.

انشغل (محمود عوض) بمعشوقته وهو المسئول المهم بإحدى الدوائر، وشهدت شقة "الأمبا سادور" المحرمة التي تستغرق معظم وقته. فكان ينزف مع رجولته أسرارًا حيوية للغاية تمس (لبنان) وامنه.

تتملكه نشوة الانتشاء عندما يجيب باستفاضة عن استفساراتها ويراها منبهرة مشدوهة متغابية، وبعد انصرافه، على أوراقها تكتب كل ما تفوه به، وتخطط لما سيكون عليه الحال في اللقاء التالي.

* * *

كانت أولى مهام (شولا كوهين) في (بيروت)، السيطرة على اكبر عدد من المسئولين الحكوميين بواسطة الجنس، حتى إذا ما ترقوا في وظائفهم وأصبحوا ذوي شان في صناعة القرار، أعيد من جديد إيقاظهم للعمل لصالح (إسرائيل)، وهؤلاء يطلق عليهم العملاء النائمون. فحينما يتبوءون المناصب العليا، يسهل إخضاعهم لتمييع المواقف السياسية المستقبلية ضد (إسرائيل)، ويشكلون بذلك طابورًا طويلاً من المسئولين يدور في فلك (إسرائيل).. وينفذ سياساتها دونما انحراف عن الخط المرسوم.

لذلك، وسعت (شولا) من علاقاتها بالمسئولين اللبنانيين، وكانت الدائرة شيئًا فشيئًا، تتسع لتشمل موظفين رسميين بشتى الجهات الحكومية، كلهم سقطوا صرعى الجسد الناعم الملتهب.



وبالطبع، لم تكن (شولا) بقادرة وحدها على إشباع رغبات كل هؤلاء، إنما عمدت بحاستها المهارية إلى التعرف على فتيات حسناوات، باحثات عن المال، جمعتهن حولها وسخرتهن لتوثيق دائرة معارفها. واستلزم منها ذلك تأجير شقة اخرى، لتخفيف حدة زحام جوعى اللذة بشقتها.

وفي عام 1956 كانت تستأجر خمسة منازل في مختلف أنحاء (بيروت)، مجهزة بأفخر أنواع الأثاث، ومزودة بكاميرات دقيقة وأجهزة تسجل كل ما يجري بغرف النوم، وكانت اشهر فتاة لديها، طفلة أرمينية تدعى(لوسي كوبليان) عمرها اربعة عشر عامًا تخلب بجمالها الألباب وتذيب العقول.

هذه الطفلة كانت إحدى نقاط القوة في شبكة (شولا).. فقد تهافت عليها الرجال كالذباب، وسجدوا لجمالها وفتنتها، أما (شولا) —الزعيمة— فآثرت الا تمنح جسدها إلا لكبار المسئولين ذوي المراكز الحساسة كي تستخلص بنفسها ما تريده منهم.

ولما تزاحم العمل، رأت (الموساد) أن تعضد (شولا) في مهمتها، فضمت اليها اليهودية(راشيل رافول) في (طرابلس)، وبانضمام (راشيل)، اتخذت شبكة (شولا) مسارًا جديدًا لم يكن في الحسبان.. فالعضوة الجديدة مدربة وماهرة جدأ.. ولها خبرة طويلة بأعمال الدعارة في (لبنان) .

وبالتعاون مع(إدوارد هيس) ضابط الارتباط الإسرائيلي في (بيروت)، أمكن القيام بعدة عمليات جريئة لتهريب أموال اليهود اللبنانيين المهاجرين لـ (إسرائيل)، بوسيلة" إشهار الإفلاس"، التي سهلت عملية(إميل نتشوتو) التاجر اللبناني اليهودي، الذي هرب لـ (إسرائيل) بعدما سرق ملايين الليرات من البنوك والتجار.. وكذا

عملية(إبراهيم مزراحي) التاجر الطرابلسي الشهير الذي هرب أيضًا بالملايين إلى اليونان، ثم لـ (إسرائيل)، بينما انخرطت زوجته(ليلى مزراحي) في خدمة الشبكة.. لتسهيل عمليات تهريب أخرى بما لها من علاقات بزوجات أثرياء اليهود. وبتهريب يهود (لبنان) بأموالهم المسروقة إلى (إسرائيل)، أضير الاقتصاد اللبناني ضررًا بالغًا، واضطرت بعض المصارف إلى الاستغناء عن خدمات بعض موظفيها المتورطين، وكاد للعملية كلها أن تنكشف، لو لم يكن هناك مسئولون كبار أمكن السيطرة عليهم من قبل، استطاعوا في الوقت المناسب عمل تغطية للفضيحة وإخمادها إلى حين.

* * *

بعدما اتسع نطاق شبكة الجاسوسية، وبالتالي تعددت مصادر التقارير والأسرار، كانت (شولا) تعاني من صعوبة نقل المعلومات المتدفقة عليها إلى (إسرائيل)، ورأت أن الحل يكمن في تجنيد أحد اللبنانيين قاطني الجنوب نظرًا لسهولة تسلله إلى (إسرائيل) بالمعلومات والتقارير، دون أن تثير تحركاته أحداً. فكرت جديًا بهذه الحيلة، في ذات الوقت الذي سعت فيه لإيجاد مركز يجمعها بجواسيسها، وبواسطة كبار المسئولين اللبنانيين، استأجرت عميلة (الموساد) إحدى الكافيتريات بشارع "الحمراء"، وحولتها إلى "بار" يزدان بالديكورات والحسناوات أطلقت عليه اسم بار "الرامبو".

ومع الخمر والليل وجدت ضالتها المنشودة في شخص ابن الجنوب الساذج – (محمد سعيد العبد الله)– الذي حملته ساقاه ذات مساء إلى البار.. فتسمر منبهرًا بالجسد الأبيض يتراقص ويتمايع، معلنًا عن مواطن الإثارة في صراحة.. وثقلت عليه رغباته المكبوتة، فتاه عقله، وأحكمت (شولا) سيطرتها عليه بعدما تأكد لديها أنه سقط في براثنها.



وفي ليلة حمراء أريقت فيها الخمور المعتقة، وذبلت العيون وتراخت الأعصاب في وهن، فاتحته في الأمر. وكم كانت واثقة من إجابته، فإنه على استعداد لأن يفعل كل شيء في سبيل ألا يخسرها، أو يضيع لحظة واحدة من أوقات المتعة التي أدمنها. فحملته بالتقارير والمعلومات، وتسلل بها إلى الجانب الإسرائيلي.. ولم يرجع إليها بأوامر (الموساد) الجديد فقط، بل اصطحب معه ابن عمه (فايز العبد الله) الشاب المغامر.. الذي يعرف الدروب الجبلية ومواطن الضعف الأمني بمناطق الحدود الجنوبية.

وعلى انفراد، أخبر (شولا) بأن ابن عمه مستعد هو الآخر للانضمام إلى شبكة الجاسوسية مقابل المال. فلم تمنحه (شولا) المال وحده، بل وهبته أجمل فتياتها اللاتي ضيعن لبه، وسحرنه بما لم يألفه من متع النشوة، ليدور في النهاية كسابقيه في فلك الخيانة والتردي.. وأخيرًا جاء لها سعيد بابن العم الثالث (نصرت العبد الله) طائعًا مختارًا هو الآخر، وكأنما عائلة (العبد الله) قد جبلت على الخيانة واعتادتها.. وبذلك أمكن لـ (شولا) أن تنقل ملفات تقاريرها أولاً بأول عبر هؤلاء الثلاثة إلى قادتها في (إسرائيل) دونما صعوبة.. أو تشكك من الجهات الأمنية اللبنانية.. وتحول ملهى "الرامبو" إلى مركز لاصطياد الجواسيس وملتقى لهم في ذات الوقت، وأيضاً، ليعاين كبار الموظفين اللبنانيين الفتيات المثيرات المختارات، فتتضاعف خدماتهم لشبكة (شولا)، في وقت لم تكن ظروف الأمن في (لبنان) مهيأة لتتبع النشاط التجسسي الإسرائيلي في (بيروت)، بسبب انشغال الميليشيات الطائفية بتسليح نفسها، على حساب قوة الجيش والأمن الداخلي.

* * *

تغافل (محمود عوض)، المسئول اللبناني الكبير عما تقوم به (شولا) في (لبنان) .. مكتفيًا بالليالي الملتهبة بين أحضان الحسان، ولما

ادرك قيمة الخدمات التي يؤديها مقابل الجنس، صارح (شولا) بأنه الخاسر بلا شك.. وطالبها بمقابل مادي، حيث أن هدفه الأسمى في الحياة هو المال والثراء. انزعجت (شولا) لطلبه الجديد فهو ثري في الأصل، وما كان يطلب منها سوى فتيات صغيرات جميلات يعدن إليه شبابه. وبرغم سيطرتها عليه بوسائل عدة، منها تصويره في أوضاع شائنة مع أكثر من تسع فتيات، إلا أنها نفت فكرة تهديده، ذلك لأنه يعرف جيدًا كل المتعاملين معها من ذوي المراكز، وكتبت بذلك إلى رؤسائها فوافقوا على رأيها، فاغدقت عليه الأموال مقابل تقاريره عن موظفي الدولة والدوائر الرسمية، التي كان يحملها (العبد الله) إلى الإسرائيليين عبر الحدود في أوقات معينة متفق عليها.

وفي مايو **1958**، وصل إلى (بيروت) ضابط سوري مسئول، اجتمع من فوره بأحد ضباط الأمن اللبنانيين، وأبلغه بنشاطات (شولا كوهين) المشبوهة، وإحاطتها بأسرار غاية في السرية عن الجيش اللبناني والسوري معاً، تجلبها من خلال شخصيات على مستوى المسؤولية في البلدين على علاقة بها.

كانت خيبة أمل الضابط السوري كبيرة، عندما أخبره زميله اللبناني بأن (شولا) بعيدة عن الشبهات. وتم حفظ محضر الاجتماع في الأدراج برغم تأكيدات السوريين.

وفي بداية عام **1961** وقع محضر الاجتماع تحت يد ضابط لبناني شهم اسمه (عزيز الأحدب) فقرأ ما تحويه السطور.. وبدا في جمع المعلومات في سرية تامة عن (شولا).. وفوجئ بعد عدة أشهر من المراقبات والتحريات بأن الفتاة تدير أكبر شبكة جاسوسية إسرائيلية في (لبنان) .. امتدت نشاطاتها لتشمل كل مناحي الحياة المدنية والعسكرية، ليس ذلك فحسب، بل تجمعت لديه أدلة




كافية، بأنها وراء عمليات تهريب اليهود اللبنانيين إلى (إسرائيل)، بواسطة آل(العبدالله) الذين يجيدون استخدام الدروب الوعرة في الجنوب.

هكذا، وبعد تسع سنوات من التجسس، ألقى (عزيز الأحدب) القبض على (شولا كوهين) في أغسطس **1961**، واعترفت في الحال على شركائها، واثقة من أن نجدة ستجيئها حالاً من (إسرائيل).

وأمام القضاء العسكري اللبناني تكشفت حقائق مذهلة، عن تورط شخصيات عديدة مسئولة، في إمدادها بأدق الأسرار والتقارير التي تمس (لبنان) وكيانه.

أصدرت المحكمة في 25 يوليو **1962** حكمًا بالسجن مدة عشرين عامًا على (شولا كوهين)، التي أطلق عليها اليهود لقب" الزعيمة" و 15 عامًا على زميلتها (راشيل رافول). أما (محمود عوض) فقد قضى نحبه في "سجن الرملة" في يونيو **1962** إثر نوبة قلبية فاجأته قبل الحكم عليه، فلقي جزاء ربه وحكمه العادل.

لكن المثير للدهشة حقاً، أن يصدر حكمًا بسجن الـ (العبدالله) الثلاثة، عشرون شهرًا فقط لكل منهم!.. إلى جانب أحكام أخرى بالسجن تقل عن عام على مسئولين لبنانيين ضالعين في الجاسوسية، بما يؤكد ما ذكرناه آنفًا من ميوعة القوانين الجنائية التي يعمل بها في (لبنان)، وكانت سببًا رئيسيًا من أسباب تحول (بيروت) إلى أشهر عاصمة عربية يأمن فيها الجواسيس على رقابهم، وساحة تباع فيها الأسرار القومية بأجساد النساء وتشترى.

* * *

» م. سند راشد دخيل «

عضو رابطة هواة الميتافيزيقية العالمية ومنظمة سبتي الامريكية وسام

كسر شفرة الحب !

الميتافيزقية والحب !

" علم يدرس الخوارق ويتضمن علم الخوارق أو (الباراسيكولوجي) فرعين مهمين هما الإدراك الفائق للحس (ESP) (الحصول على معلومات عن غير طريق الحواس) والتحريك عن بعد (Telekinesis) (تحريك الأجسام عن غير طريق القوى المادية). يدرس هذا العلم كذلك الحياة بعد الموت وتجارب الدنو من الموت (NDE)) , والبيوت المسكونة والأشباح الصاخبة وتجارب مغادرة الجسد والعلاج النفسي وأصوات الدقات في الغرف (Rappings) ... باختصار هو علم الركض خلف علامات الاستفهام..."

من كتاب: "موسوعة الظلام"

" شعبة من فلسفة العلوم الطبيعية، وتعرّف على أنها فلسفة تبحث في أسرار الكون والظواهر الغريبة وجميع الأمور الغيبية التي لم يجد لها العلماء تفسيرا ، وكلمة (ميتافيزيقيا) نفسها تعني (ما وراء الطبيعة)، ويعتبر الفيلسوف (ارسطو) اول من كتب في هذا المجال عندما قام بتأليف كتابا يتحدث عن أسرار الكون أطلق عليه اسم (الفلسفة الأولى)، إلا انه لم يستخدم مصطلح (ميتافيزيقا) في أي من محاضراته أو كتبه على الإطلاق!! بل جاء هذا المسمى بالصدفة البحتة، فبينما كان تلامذته يصنفون كتبه في مكتبته الخاصة، جاء كتاب (الفلسفة الأولى) مباشرة خلف كتاب (الطبيعة) الشهير — الذي قام بتأليفه (أرسطو) ايضا — فاطلق تلامذته على كتاب (الفلسفة الأولى) اسم: (ميتافيزيقا)، اي (الكتاب الذي جاء ترتيبه بعد كتاب الطبيعة)، ومن هنا جاءت تسمية (ما وراء الطبيعة) لكل الظواهر الغريبة والغيبيات "

من كتاب: "خلف اسوار العلم"

* * *



ما هو الحب ؟؟.. يطرح هذا السؤال نفسه على العديد من المحبين والعشاق والعلماء والمختصين والباحثين حول العالم..

فعلى الرغم مما يبدو عليه السؤال من سهولة، إلا أن الإجابة عليه صعبة جدا.. ومعقدة..

فحتى يومنا هذا لم تتفق الموسوعات على تعريف واضح لهذا الانفعال النفسي الغريب.. بل حتى انها لم تتفق على إنها انفعال نفسي أم حيوي..

و تكتفي اشهر الموسوعات العالمية على تعريف الحب بأنه :

" مجموعة من العواطف والتجارب تعلّقتا بإحساس المودة القوية أو الوحدانية العميقة "

اي انها بكلمات أبسط، ارتباط معنوي غريب يربط اي شخصين على وجه الأرض.. سواء كان أب وأم.. اخ واخت.. صديق وصديقة.. ذكر وانثى..

و بعيدا عن أبحاث الفلاسفة وعلماء النفس في هذا المجال — والتي تملأ نتائجها الكتب والمجلات والمنتديات العربية في فضاء الانترنت - دعونا ننظر للموضوع من الناحية العلمية البحتة..

فقد شغل علماء الأحياء والكيمياء انفسهم خلال القرن الماضي في إيجاد صيغة تعريفية واضحة لهذا الانفعال الغريب المسمى بالحب..

كما قامت العديد من المؤسسات العلمية المحترمة والرزينة خلال الربع الأخير من القرن العشرين بدراسة العديد من الانفعالات المختلفة من بينها الحب لتصل في نهاية المطاف إلى عدد من النتائج المذهلة..

اولها أن الحب هو كغيرة من الانفعالات الطبيعية النفسية نتاج طبيعي لتفاعلات كيميائية تجري في جسم الإنسان ومخه بسبب ارتفاع بروتين معين في الجسم يطلق عليه اسم (نيروتروفينز) .

كما وجد الباحثون ان الدوائر العصبية تتوقف عن العمل بشكل طبيعي حين خوض مشاعر الحب، مما يسبب عدم التقييم السليم للأمور.. ولهذا السبب تحديدًا نجد العديد من الأشخاص يتغاضون عن أخطاء من يحبون!..

حتى مشاعر القلق على من نحب ربطت بكيمياء مخنا حيث اشارت اغلب التحاليل إلى أن السبب الرئيسي في ذلك هو إن هرمون (تيستوستيرون) قد يتسبب في تدمير بعض المواد الأساسية فيه، والتي تسبب حالات القلق المختلفة عند العشاق!..

كما عثر العلماء على حقيقة أخرى بعد أن اجروا دراسة واسعة شملت مجموعة من الرجال والنساء وقعوا في الحب وهي إن هرمون (تيستوستيرون) يقل عن معدلاته الطبيعية عند المحبين من الرجال بينما يزيد عند النساء ، كما اشارت دراسة أخرى قامت بها جامعة (لندن كوليدج) إن الوقوع في مصيدة الحب يقع بالفعل تحت تأثير دوائر المط التي تخضع بدورها لكيمياء مجهولة يحاول العلم فك طلاسمها في الوقت الحالي.

و هنا لنا وقفة.. فهذه الدراسة الأخيرة فتحت المجال على نقطة هامة.. وهي إن كيمياء الحب عند الرجال تختلف عنها عند النساء مما أعطى الضوء الأخضر لعدد من الهيئات العلمية للبحث بصورة مكثفة حول فروق مشاعر الحب بين الرجل والمرأة..



فعثر العلماء على نتائج مذهلة تفيد في أن الرجل إنسان متعدد!!

بالفعل أنت لم تخطئ قراءة السطور السابقة، فقد اثبت العلم الحديث أن الرجل بالفعل يستطيع أن يحب أكثر من امراة بنفس الدرجة من الحب في الوقت نفسه!!..

ما قرأتموه ليس استنتاجات فارغة.. بل هي حقائق علمية توصل إليها العلم و قطع بها شوطا.. فمشاعر الرجل مختلفة تماما عن مشاعر المراة، التي لا تستطيع أن تقدم الحب الصادق إلا لرجل واحد فقط.. بينما الرجل يستطيع أن يقدم الحب الصادق نفسه لأكثر من امراة، دون أن ينقص هذا من حبه لأي منهما!!

وهنا يحسم العلم أمرا آخر جديدا ويفسر لنا لماذا كانت المراة تعتقد عبر العصور بأن من طبع الرجل الخيانة.. بينما لم تفهم هي بعد الكيمياء المختلفة بين الرجل والمراة..

حتى في مملكة الحيوان لاحظ العلماء وجود هذه الحقيقة.. فلقطيع الإناث في العديد من الفصائل ذكر واحد، بينما لا نجد الأنثى تشارك أكثر من ذكر!..

لست احاول هنا تبرير خيانة الرجل للمراة، أو أن ادعوا الرجل لخيانة زوجته.. بل اطرح لكم حقائق علمية.. واترك طاولة البحث لكم في هذا المجال، كما حاول العديد من العلماء..

و اكتشف الباحثون أيضا وجود فروق جذرية بين الحب والإعجاب.. فالأول انفعال حيوي، بينما الآخر نفسي بحت..

و في نهاية القرن العشرين حاول عدد من الباحثين في العديد من الدول الأوربية البدء في دراسات، مفادها انه يمكن ابتكار عقارات تتحكم في الحب..

بحيث تقوم هذه العقارات برفع أو خفض درجة الحب بين الأشخاص من خلال التحكم بالهرمونات ، ورغم كون هذه الأبحاث لازالت تسير في مجال اكتشاف عقار (كيوبيد) السحري.. ورغم كون الدراسات تسير في الوقت الحاضر إلى محاولة الكشف عن عناصر هذه الكيمياء الغامضة، في محاولة جادة للتحكم في هذا الانفعال الغريب المسمى بالحب، إلا أن اغلب العلماء والمختصين براهنون على إن هذه الدراسات ستفشل فشلا ذريعا.. كون الحب انفعال غريب يتحكم به عدد الهرمونات التي لا يمكن السيطرة عليها.

بمعنى أخر لا يمكن أن يستجيب لأي نوع من العقاقير مثل بقية الانفعالات (كالخوف والإكتئاب) التي تستجيب لأنواع معينه من الأدوية..

و هذا رأيي الشخصي أيضا..

و قبل أن نختم هذه المقالة.. سيطرح السؤال نفسه على العديد منكم:

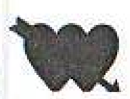
ما دخل الحب في علم ما وراء الطبيعة؟..

السبب بسيط..

و هو كما اشرنا في بداية البحث إن عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) يشمل جميع العلوم والدراسات في المجالات التي لم تحسم بعد..

اي انه باختصار هو علم الركض خلف علامات الاستفهام..

و بما أن الحب – كما شاهدنا – لازال مشاعر غامضة تكتشف عنها المزيد يوما بعد يوم وتتضارب حولها الأبحاث بصورة

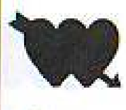


مثيرة دون أن يجد العلم لها تفسير واضح حتى الآن.. فدعونا نضيفها إذن إلى مثيلاتها من المشاعر الغامضة مثل (ديجافو) وغيرها..

و حتى يتم الكشف عن اغوار هذه المشاعر وانتقالها من خانة علوم ما وراء الطبيعة إلى علم الكيمياء أو الأحياء أو حتى علم النفس..

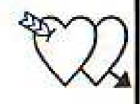
دعونا نستمتع بهدوء، بحالة اسمها..

الحب..



» د.تامر أحمد «
من سيُحضر المأذون؟

منذ فترة وانا أعيش قصة حب ملتهبة مع زميلة الدراسة والصبا (علا) التي تعرفت عليها في الجامعة وأحببتها حباً جارفاً من اول وثالث وخامس نظرة ، وأسعدني انها بادلتني نفس الشعور، وقضينا ثلاثة أعوام في حبنا بين حقد الحاسدين وحسد الحاقدين حتى أنهينا الدراسة واعتقدت أنه آن الأوان لكي نرتبط رسمياً.



» علا انا عايز آجي اقابل باباكي

» نعم؟! تقابل بابا .. ليه ؟

» هاخد رايه في تخصيب اليورانيوم الحي .. يعني هاقابله ليه يا علا .. أكيد هاطلب إيدك منه

» تطلب إيدي .. طيب ومستعجل علي إيه ؟

هنا ساورني الشك فالمفترض أن اي فتاة تتعجل هذا اللقاء ، كما اني لم الحظ عليها الفرحة المعتادة لكل فتاة يخبرها فتاها انه في طريق الارتباط الرسمي

» علا .. انا حاسس إنك متغيرة

» مافيش حاجة والله يا كريم .. كل الحكاية إني شايفاك مستعجل شوية .. ليه مش بتأجل المقابلة دي زي كل الولاد؟

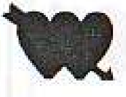
» وانتي ليه مش مستعجلة زي كل البنات؟

» أصل بصراحة .. انا خايفة عليك

» من إيه ؟؟

» من بابا

» ليه ؟ هو بابا بيخوف ؟!!



» أصل بابا صعب قوي .. رجل أعمال كبير زيه بيفتكر إن كل واحد بيقرب من بنته يبقي أكيد طمعان فيها

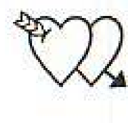
» بس أنا حبيتك من غير ما اعرف إن باباكي غني .. أي نعم حبيتك اكتر لما عرفت، بس انا فعلاً بحبك

» انا عارفة يا كيمو .. بس

» مافيش بس .. انا هاجي اقابل بابا النهارده الساعة سبعة

» ماشي .. انا حذرتك وانت حر

في تمام السابعة كان كريم متانقاً بشدة بعد أن استعار حلة زوج خالته وقميص عمه وجوربه هو شخصياً، وقصد فيلا عبد الحميد بيه والد علا.. كعادة مصرية صميمة لا يجوز مخالفتها كل الأغنياء لديهم خادم زنجي مخصص لفتح الباب و من يخالف هذا يقع تحت طائلة القانون .. ويبدو أن سر عدم القبض علي كل من يسرقون قروضاً من البنوك بدون ضمانات هو وجود خادم زنجي لديهم يفتح الباب .. هذا سبب كاف لإطلاق سراحهم .. فتح زنجيهم الباب ودلف كريم إلي بهو الفيلا ليجد شخصين آخرين في قمة التانق والتالق ينتظران، تفحصهما بنظره يبدوان رجلا أعمال احدهما كان بديناً خفيف الشعر يميل إلي الصلع كرشه الضخم تعلو مع كل شهيق وزفير .. وحتى بدون ان يتنفس فكرشه كانت تبدو ككائن آخر له حركاته المستقلة عن الجسد أما الآخر فكان يبدو كنجم سينمائي.. ممشوق القوام رياضي الجسم وسيم في الثلاثين من عمره وفي المليون من ثروته..



بعد هذا الفحص المبدأي اتخذ كريم مجلسه منتظراً .. لحظات و جاء والد علا الذي بدا لطيفاً ودوداً علي عكس ما كان يتوقع .. رحب بهم ثم جلس

» انا عارف إنكم كلكم جايين تطلبوا إيد علا بنتي

هنا سقط قلب كريم بين فردتي حذائه – حذاء أخيه في الواقع – فالمنافسة بينه وبين ذلك التوم كروز محسومة تماماً لمصلحة توم .. إنهما منافسان إذن .. أن .. أن .. أن .. تِش

» وأنا سعيد بكم جدا .. لكن برضه أنا اب و تهمني مصلحة بنتي عشان كده لازم أعرفكم كويس وأختار الأصلح لها.. وفي البداية الأول أحب أتعرف عليكم ونبدأ بالأسماء

تقدم الأول متنحنحاً وقال بكل ثقة:

» فادي أبو الكرم ابن وزير السياحة الأسبق

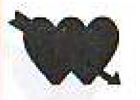
نظر له كريم بدهشة وأيقن أنه سيكون الفائز بزواج علا قبل أن يفاجأ بالشاب البدين ذو الشعر الأشهب يقول:

» معتز أبو العز ابن مساعد رئيس البنك الدولي

أسقط في يد كريم الذي وقف بدوره ليقول بوجل:

» كريم ...

كان الموقف يذكره بأيام فصل الابتدائي التعيس حين كان التلاميذ يقفون بالدور ليقولوا أسمائهم وهل قاموا بعمل الواجب أم لا .. وكان دوماً مقصراً ويتحجج بكل الحجج الواهية التي كانت لا تسمن ولا تغني من عقاب .. المنافسان هذه المرة قد قاما بعمل الواجب وزيادة .. تري هل تصلح حجة نسيان الكشكول في غرفة الجدة المريضة بالمستشفي هذه المرة ؟!!



نظر لهم الأب وتابع

» المهنة

» مالك ومدير سلسلة مطاعم عالمية

» مستثمر ذو أسهم عديدة في بورصتي لندن ودبي

» كريم ...

» بصوا يا شباب .. انتم طبعا كلكم شباب زي الفل .. بس أنا بنتي مش هايخدها أي حد .. انتم عارفين حواديت ابله فضيلة ؟

» أبله فضيلة !!

» آه مش دي بتاعت كان يا ما كان في سالف العصر والأوان كان فيه ملك .. دايماً الحكاية عن ملك

» بالضبط .. كان فيه ملك عنده بنت وكان متقدم لها ثلاثة أمراء والملك كان محتار يجوزها لمين

» وعمل إيه ؟

» عمل منافسات بينهم اللي يكسب فيها يبقي هو اللي يجيب المأذون و يتجوز الأميرة والبقاء للأصلح

» يعني هاتعمل منافسات بيننا يا عمي

» بالضبط كده

» !اوعي تكون ناوي تبعتنا ندور علي بساط الريح والحكيم أصفهان

» ولا الأميرة اللي محتاجة زيت بذرة الكتان عشان تصحي

» انا ماكنتش بحب الحكايات دي عشان كان دايماً ابن الحطاب هو اللي بينتصر علي الأمراء ، وكان كل الحطابين زمان كانوا عباقرة

» وانت معترض علي ايه ؟

» لو الحطابين كانوا عباقرة كده كانوا اصبحوا ملوك ، والأمراء لو اغبياء كده كانوا بقوا حطابين

» لا يا شاطر أنت وهو .. دي مسابقات في مجالات تانية

» مجالات إيه ؟؟

» كل حاجة .. رياضة واقتصاد وأدب وفلسفة وكيمياء ومعلومات عامة .. اللي يتجوز علا لازم يتعب .. وانتم عارفين .. من طلب العلا ..

الثلاثة في نفس واحد:

» سهر الليالي

» برافو عليكم .. اشوفكم بكرة الصبح

انصرف الشباب الثلاثة

فادي :

» ايه رايكم يا شباب .. تنسحبوا بكرامتكم بدل ما تتعرضوا للهزيمة ويبقي شكلكم وحش



معتز:

» ممكن الأخ كريم ينسحب .. وانت كمان يا فادي إنما انا مش هانسحب .. أنا واثق من الفوز

» اشمعني ؟

» مش هو قال البقاء للأصلح !!

كريم :

» يا جماعة انتم يمكن عايزين تتجوزوا علا عشان مركز والدها

» وانت عايز تتجوزها ليه يا مواطن .. للقضاء علي العنوسة ؟

» لأ .. أنا هاتجوزها علشان بحبها

» هاها .. حلوة دي يا روميو ..

» يا سيدي حبها براحتك .. أنت حبها وانا هاتجوزها

» دا بعدك .. أنا اللي هاتجوزها

» هي سايبة .. أنا مش هاسيبها أبداً

بعد مشادة حامية انصرف الجميع ، وتوجه كريم إلي بيته.. في الطريق كلمته علا علي المحمول

» أيوة يا علا .. باباكي عامل لنا مسابقات عشان نتجوزك .. ناقص يقول لنا اطلبوا زيرو تسعمية

» معلش يا حبيبي استحمل عشان خاطري

» مانا لو ماكنتش بحبك ماكنتش قبلت الوضع دا..

» اصبر شوية يا حبيبي

» حاضر .. وربنا يستر

» كريم

» نعم

» ذاكر منهج الفيزياء بتاع الثانوية العامة كويس .. ويا ريت تقرا كام مرجع من بتوع كلية العلوم عشان أسئلة بكرة جايه منه .. تصبح علي خير يا حبيبي

» خير .. هي الفيزياء فيها خير .. تصبحي علي ذرة

وصل كريم إلي البيت واخرج منهج الفيزياء للثانوية العامة وغمغم

» يا ربي .. عشان أتجوز أذاكر فيزياء .. يا ليلة سوداء.. أمري لله

في الصباح توجه الشباب الثلاثة إلي مقر شركة عبد الحميد بيه الذي كان يتريض وما أن رآهم حتى تهللت أساريره — هم بيكتبوها كده .. وانا ما اعرفش إيه اساريره دي ولا بتتهلل إزاي أصلاً — ودعاهم إليه

» اهلا شباب .. اتفضلوا .. دي أرقام الجلوس اقعدوا وهاسلمكم دلوقتي أوراق الامتحان

» امتحان ؟؟

» طبعاً .. مش اتفقنا

» بس احنا مش مستعدين

» ما تقلقش .. هي مش ثانوية عامة .. يالا بقي ماتضيعوش وقت



» طيب هانمتحن في إيه؟

» اساسيات وقوانين الفيزياء

معتز :

» قوانين الفيسبا ؟!! يعني الخوذة وحزام الأمان وكده

» فيزياء يا معتز .. علم الطبيعة بالعربي ..

فادي :

» فيزيكس يا معتز

» آه .. بتاعة رزر فورد وجدول الدوري

» جدول الدوري !! ما علينا .. يالا عشان الامتحان

جلسوا واستلموا كراسات الإجابة وبداوا في حل الامتحان .. انهمك كريم في الكتابة بينما مال فادي علي معتز

» مين نيوتن دا ؟

» دا الجدع بتاع التفاح

» دا أنا كنت فاكره بتاع البانيو

» لا بتاع البانيو كان اسمه ارشميدس

» إيه يا اخي الأسامي الغريبة دي .. هم الفراعنة ماكانش عندهم أسامي سهلة زي هاني ومحسن والناس دي

» أولاً .. دول مش فراعنة دول إغريق .. ثانياً عمرك سمعت عن إغريقي اسمه محسن

» لا

» خلاص .. اتكتم وجاوب أي حاجة

" ماحدش يغش ".. صاح بها عبد الحميد بيه وما هي إلا دقائق وتم تجميع الأوراق

» انا عارف يا اولاد إنكم مش مستعدين .. بس دي كلها معلومات عامة

» معلومات عامة إزاي يا بيه .. بقي قانون الغطس دا معلومات عامة ؟

» أولاً اسمه قانون الطفو .. ودا كل الناس عارفينه

» طب ومسلّمة إقليدس

» دي ماكانتش في الامتحان أصلاً .. أنت جبتها منين

» انا قلت احط كل الأسماء الغريبة إللي أعرفها... إقليدس وارشميدس ونتينياهو .. يمكن ننجح

» عموما دا مش الاختبار الوحيد .. دلوقتي اختبار اللياقة البدنية.. غيروا هدومكم عشان عندكم 15 كيلو اختراق ضاحية دلوقتي

» ضاحية !! أستر يا رب

بدأوا الركض بحماس كلهم ولكن حماس معتز فتر بعد عشر ثوان فحسب بينما أكمل كريم وفادي السباق الذي انتهي بحصول فادي علي المركز الأول يليه كريم يليهما بمسافة طويلة معتز البدين الذي كان يعاني الأمرين من كل هذا المجهود الكبير

استقبلهم عبد الحميد بيه

» اهلا اهلا بالأبطال .. عصير يا مرسي

» انا عارف انكم بذلتم مجهود كبير بس كل دا في سبيل علا .. ومن طلب العلا..



الثلاثة في نفس واحد – متقطع من فرط الإجهاد:

» س ..هر الليـ .. الي

» هو دا .. عموماً طبعا كل واحد أخد درجات علي السباق دا وفي نهاية المسابقات هانجمع الدرجات وأكتر واحد حاصل علي درجات هو اللي هايجيب المأذون

ساله معتز لاهثاً

» هو لسه فيه مسابقات تاني .. دانا هلكت

» آه طبعا .. لسه بدري .. يالا علي السباحة

» انا مابعرفش أعوووم



قام عبد الحميد بيه بتحكيم مسابقات السباحة المختلفة من سباحة حرة إلي قفز حر إلي غطس حتى الباليه الإيقاعي وكرة الماء .. تلا هذا تمارين ضغط وبطن وعقلة وجمباز واختبار للكاتا الرابعة في الكاراتيه .. كان التفوق بين كريم وفادي بالتبادل والفشل الذريع كان دوما من نصيب معتز

» دلوقتي آخر اختبار .. المفروض ان المتسابق هايركب حصان من غير لجام وايديه متكتفة ورا ضهره عينيه متغمية و بيجري علي جسر خشب بيتكسر وتحته نار والعة وتعابين وسيوف وعلي الناحية التانية فيه تاج من الماس المفروض يجيبه عشان يلبسه للأميرة .. آآ .. اقصد علا ويتجوزها

نظر له الثلاثة غير مصدقين ما يقول وساله معتز

» يا باشا ممكن أسالك سؤال

» اتفضل

» هو الملك بتاع أبله فضيلة عمل المسابقات دي كلها !!

فيما بعد في أحد المطاعم

» علا .. انا تعبت قوي

» انا قلت لك من الأول .. بابا صعب جداً

» المشكلة إنه ماسالش عن أي حاجة لسه .. كلها اختبارات مدرسة الموهوبين

» ما انت موهوب يا حبيبي

» انا موهوب في حبك .. إنما مش في السباحة والغطس والاعيب السيرك

» معلش يا كيمو .. إحنا ابتدينا المشوار ولازم نكمله

» عشان خاطرك انتي بس يا علا .. الله يرحمك يا شكوكو

» شكوكو !!

» آه .. أصله زمان قال " الحب بهدلة "

بعد عدة أيام استدعي والد علا الشبان الثلاثة

» أهلاً بالشباب .. بيتهيالي ارتحتم شوية من التمارين الرياضية



» إحنا اتهلكنا يا باشا

» عموماً النهارده انا عايز اشوف قدرتكم علي الرومانسية

» إزاي يا باشا ؟

» يعني كل واحد دلوقتي ينزل يجيب هدية لعلا عشان عيد ميلادها

قال كريم

» انا إديتها هدية عيد ميلادها خلاص

» نعم ؟!!

» لالا .. مش قصدي .. قصدي اعتبر سعادتك إن انا جبتها خلاص



» طيب .. قدامكم ساعة وترجعوا تقولوا لي عملتم إيه

بعد ساعة عاد الثلاثة .. كريم كان يحمل بوكيه ضخم جدا من الورود الحمراء البديعة يتوسطها دب احمر عليه كلمة (احبك) بسبع لغات حية.. نظر له فادي ساخراً وساله

» إيه دا يا روميو؟

» دا فلفل رومي

» بجد !!

» يعني شايف الورد هايخرم عينك .. يبقي إيه

» بقي هي دي الهدية

» أيوة .. علا بتموت في الورد الأحمر

» طيب

دخل والد علا عليهم

» حلو قوي دا يا ... قلت لي اسمك إيه ؟

» كريم

» حلو قوي يا كريم

نظر كريم بجانب عينه لفادي وقال

» يعني عجبك يا باشا ؟

» جداً

» سامع يا اللي في بالي

» وانت يا فادي جبت إيه ؟

» حضرتك بص من الشباك وهاتشوف

نظر والد علا من نافذته ليجد الحديقة امام الفيلا وقد تم زرعها بالكامل بالورود الحمراء اليانعة والتي يتوسطها اسم علا بأعواد الفل .. تدلي فك كريم السفلي ببلاهة

» يااااه

» أنت رائع يا فادي

» عشان تعرف .. انا كلي رومانسية

» طيب والأستاذ معتز اخباره إيه معانا ؟



» معتز

» يا باشا انا مش بتاع حركات ولا بص من الشباك ولا رج الإزازة .. اتفضل

وناول والد علا ورقة

» إيه دا

» دا عقد ملكية أكبر حديقة ورد في بلجيكا .. فيها كل انواع وأشكال وألوان الورود هدية متواضعة مني لعلا

» هدية مقبولة يا معتز .. انتم كلكم رومانسيين بنسب مختلفة .. ودا هايخليني مش قادر اقرر لسه مين فيكم اللي هايتجوز علا

قال كريم

» ماتسأل علا يا باشا

» أسالها علي إيه ؟

» عن رأيها وهي تختار حد مننا بدل الاختبارات دي كلها

» وعلا إيه علاقتها بالموضوع دا

» هه ؟

» علا هاتقول رأيها علي اللي انا اشوفه مناسب ، ولو مش موافقة مش هاغصب عليها .. إنما مش هاتتجوز حد انا مش شايفه مناسب.. مفهوم ؟؟

» مفهوم

فيما بعد مع علا

» يا علا كلميه .. قولي له اي حاجة .. الولدين دول هايفرموني بينهم

» ما اقدرش اكلمه .. المفروض إن أنا ما اعرفش أصلاً إن فيه حاجات من دي

» وهو المفروض يبقي فيه حاجات من دي برضه ؟؟ في عرف مين يعني عشان بحب، كل دا يجري لي

» انا قلت لك من الأول

» ما كنتش أعرف إن أبوكي مجنون

» ماتقولش كده عن دادي

» دادي !! أنا غلبت أدادي فيه وأحايله بس مافيش فايدة .. دماغة ناشفة

» عموماً لو مش عايز تكمل انت حر

» هو بمزاجي

» أمال بمزاج مين ؟

» قلبي .. قلبي اللي حب وممشيني وراه زي الجاموسة

» بجد .. هاتستحمل عشان بتحبني

» بحبك ومش قادر اتخيل نفسي من غيرك .. بس المنافسة مش متكافئة يا علا وانتي عارفة ظروفي .. دا فيه واحد



جايب لك هدية جنينة ورد في بلجيكا .. مش بعيد لو ابوكي وافق عليه الاقيه اشتري لك إنجلترا وكتبها باسمك

» يا حبيبي كل دا مش مهم .. المهم إنك بتحبني ومستعد تعمل علشاني اي حاجة .. طيب لو بايديك تشتري لي أنهي بلد هدية جوازنا ؟

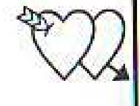
» بولاق أبو العلا

» انت بتهزر

» يعني هو أنتي اللي بتتكلمي جد .. أديني باهزر يا علا بدل ما أطق

» طيب ناوي تعمل إيه ؟

» هاعمل إيه يعني .. هاكمل



في اللقاء التالي بوالد علا قال لهم

» النهاردة عايز أقيس مستوي ذكاءكم .. عشان كده الاختبارات هاتكون مختلفة شوية

» مختلفة إزاي يعني ؟

» كلها تمارين ذهنية

» يعني ايه ؟؟

» يعني الأول نسخن كده .. كل واحد ياخد 200 لعبة كلمات متقاطعة و200 سودوكو ويحلهم لحد ما ارجع لكم تاني

» شكوكو !! إيه شكوكو دا

» سودوكو يا معتز .. لعبة أرقام زي الكلمات المتقاطعة كده

قال معتز :

» علي كده حضرتك مسافر بقي

» لأ .. ليه

» اصل يادوب عقبال ما سيادتك تقضي 3 شهور الصيف نكون خلصنا

» قصدك ايه .. كتير عليكم 200 ؟

» يا باشا كتير حتي عشرين

» آه والله يا باشا .. معتز بيتكلم صح

» شباب خرع .. زمان كنا نحل السودوكو واحنا نايمين

» يا عمي هو السودوكو كان طلع أيامكم .. دا الجري كان بالنسبة لكم تكنولوجيا

» طيب يا لمض .. خليهم عشرين كل واحد عشان نصحصح مخكوا قبل الاختبارات التقيلة

» إيه ؟ اختبارات إيه تاني؟

» اشوف مستوي تفكيركم في الشطرنج

صاح كريم :

» لا يا عمي .. من الناحية دي اطمئن خالص .. أنا عبقري في الشطرنج .. عايزني الاعب مين؟ معتز ولا فادي



» كاسباروف

» هه ؟

» كاسباروف .. إيه .. خفت ؟

» لا بس كاسباروف دا بطل العالم في الشطرنج .. هو متقدم لعلا هو كمان ؟!!

» لا طبعاً .. فيه برنامج كمبيوتر مبرمج إنه يلعب وكأن كاسباروف هو اللي بيلعب .. و تبقوا توروني شطارتكم بقي .. عايزكم تكسبوه

» فيه حاجة غير الشطرنج ؟

» شوية ألغاز وفوازير بسيطة واختبار مستوي الذكاء وقياس سرعة التفكير والاستجابة العصبية والتوافق العضلي العصبي ودقة اتخاذ القرار .. بس

» عمي

» نعم

» أنا كرهت الملك بتاع ابله فضيلة

» يا بني من طلب العلا

» سهر الليالي

» بالضبط كده .. يالا علي الاختبارات

انصرف والد علا في حين مال معتز علي كريم متسائلا

» هي مش سهر الليالي دي أغنية لفيروز ؟؟

» ارحمني يا معتز

فيما بعد في مكتب عبد الحميد بيه

جلس والد علا علي مكتبه يطالع نتائج الاختبارات وأمامه الشبان الثلاثة المترقبون

» هايل .. كلكم مستوي ذكائكم فوق المعدل المطلوب

» ودا معناه إيه؟

» معناه إني برضه مش هاقدر أقرر مين فيكم اللي يتجوز علا من الاختبار دا .. لازم اختبارات تاني

» تاااني

» ايوة طبعاً .. عايز أعرف مهاراتكم في العمل الخيري .. لو معاك مليون جنيه عشان تعمل عمل خيري .. تتصرف بيهم إزاي؟

معتز :

» انا هابني أوتيل خمس نجوم للقطط الضالة اللي يا عيني مش لاقية حد يراعيها

فادي :

» قطط إيه بس .. أنا هأسس جمعية لحماية الحيتان اللي بتنتحر انتحار جماعي ويكون فيها خبراء في الطب النفسي عشان يشوفوا مشاكل الحيتان ونحاول نحلها



كريم :

» هو لازم يعني حيوانات .. أنا هاعمل سلسلة قوافل طبية لقري ومحافظات مصر تعالج الناس الغلابة مجاناً

معتز :

» إيه دا .. هو لسه فيه ناس غلابة ؟

كريم :

» أمال إيه

فادي بدهشة :

» عندنا هنا في إيجيبت ؟

كريم :

» ييس أوف كورس .. يا ابني الغلابة هم المادة الخام للشعب المصري

» والله .. ماكنتش أعرف .. مش فيه وزير من فترة قال إنه هايقضي علي الفقر في سبتمبر اللي فات

» ماهي الحكومة لغت شهر سبتمبر في السنة دي

تدخل عبد الحميد بيه

» كفاية يا ولاد .. مالناش دعوة بالسياسة .. أنا لسه مش قادر أقرر مين فيكم أصلح لعلا

» يعني إيه يا باشا

» يعني لسه فترة الاختبار

» أرجوك كفاية

» بس المرة دي عايز أشوف مهاراتكم الاقتصادية .. اللي يتجوز بنتي لازم يكون عنده فكر اقتصادي ممتاز

» ودي هاتعرفها إزاي ؟

» عايز كل واحد فيكم يفكر إزاي يكسب مليون جنيه في ثلاثة أيام

فادي :

» انا عن نفسي هاعمل مهرجان كبير في سلسلة المطاعم وأعزم مشاهير البلد وأعمل تخفيض 10٪ لكل واحد تتعدي طلباته ألف جنيه .. وطبعا هاكون زودت الأسعار قبلها بنسبة 42٪ علي الأقل

معتز :

» انا هاطلع إشاعة قوية في البورصة إن الشركات بتخسر والأسهم هايقل سعرها .. الناس كلها تبيع وأنا أشتري وبعد كده اتحكم في سعر بيع الأسهم .. ودا مكسب مضمون

كريم :

» انا هاقدم علي معاش مبكر واشتغل علي توك توك

» ودا هايجيب لك مليون جنيه

» آه طبعاً .. بس بعد تلتميت سنة .. يا باشا انا لو أقدر أجيب مليون جنيه في تلات أيام كان زماني بقيت حاجة تانية .. كل اللي اقدر عليه إني أشتغل واجتهد عشان أقدر أعيش

» طبعاً أنا محترم دا جداً .. وأنا أحب الشباب العصامي اللي زيك يا .. قلت لي اسمك إيه ؟

» كريم .. لو مش عاجبك أغيره



» ماعلينا .. آخر اختبار .. سؤال بسيط لكل واحد فيكم

» هو لسه فيه أسئلة تاني ؟!!

» يا ابني من طلب العلا

» يطلع عين أهله.. يا باشا زهقتنا .. طيب لو كنت سميتها نادية كنت هاتقول إيه ؟

» ....

» زمان كنا فاكرين إن من طلب العلا سهر الليالي .. إنما أنت علمتنا إن من طلب العلا يتسحل ويتبهدل ويذاكر ويكره اليوم اللي شاف فيه علا أساساً

» انت إزاي تتكلم كده

» انا مش هاتكلم خلاص .. انا ماشي

» رايح فين ؟

» هاشتكيك لأبله فضيلة

غادر معتز المكان مسرعاً وبقي فادي وكريم

» خسارة .. استعجل .. حد فيكم عايز يمشي ؟؟

» لا يا باشا .. انا مستعد لكل أسئلتك

» وأنا هوايتي المفضلة أساساً هي سهر الليالي

» عظيم .. فادي .. أنت ليه عايز تتجوز بنتي؟

» عشان جميلة ومثقفة وذكية وأبوها راجل عظيم زي سعادتك .. انا متاكد إنها هاتحافظ علي بيتي وتسعدني وهايكون بيننا بيزنيس كبير انا وسعادتك .. وكله في الآخر لمصلحة أحفادك



» وأنت هاتقدم لها إيه ؟

» انا وفلوسي وثروتي ومركزي .. بيتهيالي صفقة كويسة

» وأنت يا كريم .. عايز تتجوز بنتي ليه ؟

» علا .. انا لو قلت لك إني بحب علا أبقى كداب .. الحب شعور قليل علي اللي انا حاسس بيه .. علا هي حياتي اللي كنت مستني أعيشها طول عمري .. لحد ما طلع لي الأخوة فادي ومعتز .. انا كل املي إني اتجوز علا وهاعمل كل اللي اقدر عليه عشان أسعدها

» طيب وتفتكر إنك هاتقدر تعيشها في المستوي اللي هي عايشة فيه ؟

» هاحاول أوصلها للمستوي دا وأكتر إن شاء الله .. بس مش من الأول طبعاً .. واحدة واحدة

فكر والد علا طويلاً ثم قال

» بص يا فادي .. انا موافق عليك من ناحية البيزينس.. عايز نعمل شغل مع بعض أوكي .. اما أنت يا أستاذ كريم .. آخر اختبار ليك

دق قلب كريم بعنف قبل أن يردف والد علا

» معاك نمرة المأذون ؟

تهلل وجه كريم بالفرحة

» معايا المأذون نفسه يا باشا .. بس أنت قول آه

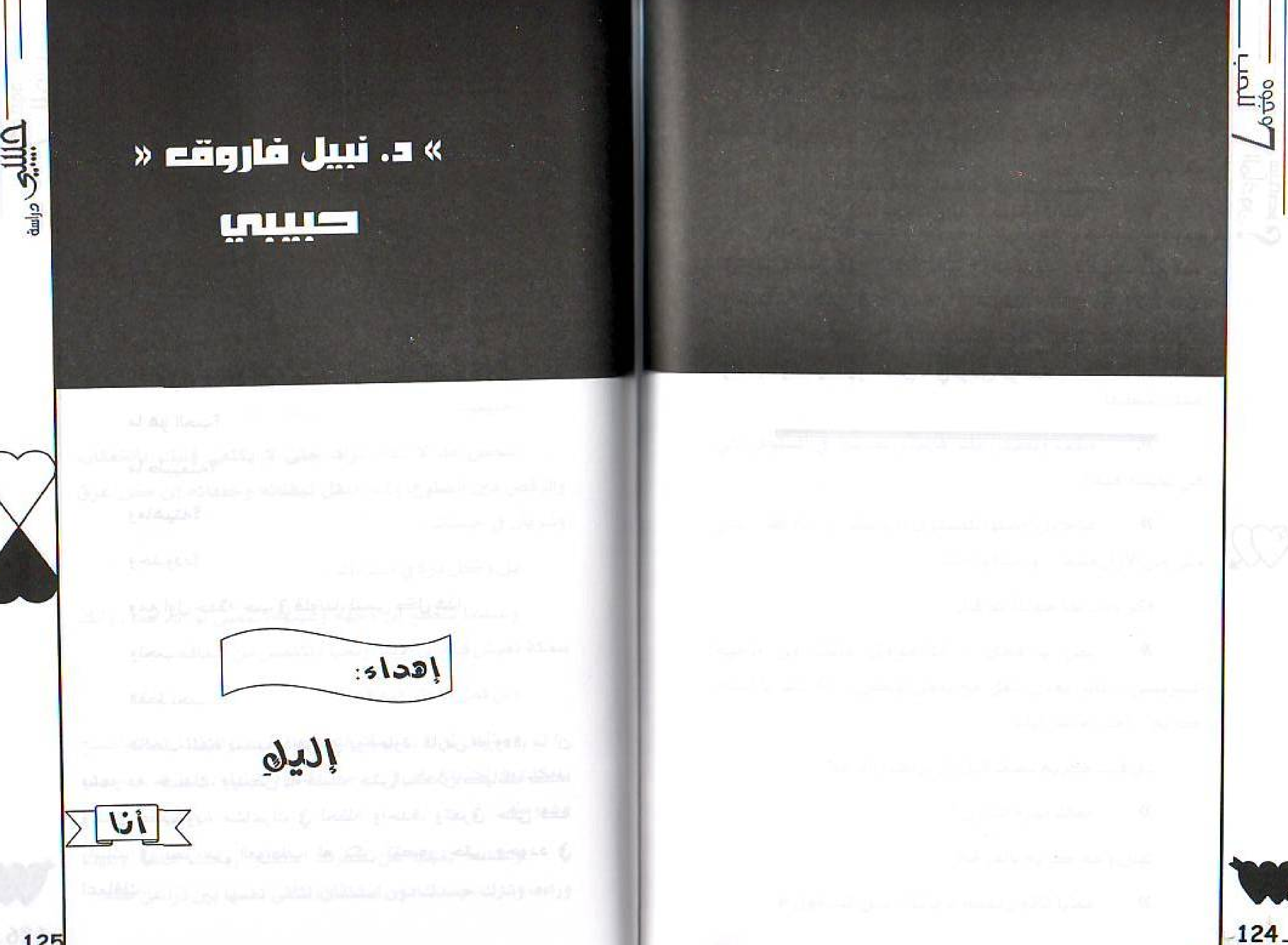
» آه يا سيدي

قال فادي :

» كالعادة ابن الحطاب هو اللي بينتصر

وتم زواج الأستاذ (كريم) علي (علا) صاحبته الأنتيم ، في حفل عائلي بهيج .. امتلأ بالفرح والزغاريد .. دُعيَ الجميع فيه .. واستمتعوا بالدي جي .. وأكلوا في البوفيه .. الذي كان فيه الديك .. والفراخ والبفتيك .. وامتلأ الجميع تهللا .. وباركوا لـ (كريم وعلا).. وقضيا شهر العسل .. في بولاق ابو العلا .




» د. نبيل فاروق «
حبيبي
إهداء:
إليك
أنا
حبيبي
دراسة

1 - الحب..

اول سؤال تتفتح عليه عيوننا، في لحظات الصبا الأولى..

ما هو الحب؟

ما طبيعته؟

وماهيته؟

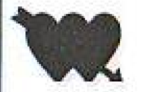
وحدوده؟

ومع اول خفقة حب في قلوبنا، ننسى كل هذا..

ونحب..

فقط نحب..

فالحب أشبه بنسيم دافئ، في يوم بارد، قارس البرودة، ما أن يشعر به جسدك، وينبض به قلبك، حتى ينتعش كيانك كله، وتتغير كيماوية مشاعرك في لحظة واحدة، وتغرق حتى قمة راسك، في بحر من العواطف، لم تكن تتصور حتى وجوده في أعماقك..



فقديمًا كانت لديك معارف..

وصداقات..

وزمالات..

وجيران..

واقارب..

وأسرة..

ثم فجأة أضيف إلى القائمة ضيف جديد..

حبيب..

شخص ما، لا تكاد تراه، حتى لا يكتفي قلبك بالخفقان، والرقص بين الضلوع، وإنما ينقل نبضاته وخفقاته إلى كل عرق وشريان في جسدك..

بل وكل ذرة في كيانك..

وعندما تتطلع إلى وجهه وعينيه، تتمنى لو انه بحر، وانك سمكة تعيش فيه إلى الأبد، وتحيا وتتنفس من أعماقه..

ولن تمل النظر إليه قط..

وستامل لو أن عينيك قد التصقتا به، وانتقلتا إليه، واصبح بإمكانهما أن يتابعاه في روحه وغدوه، وليله ونهاره، وصعوده وهبوطه..

وعندما يغيب عن بصرك، ستعدو روحك خلفه وتلهث وراءه، وتترك جسدك دون استئذان، لتلقى نفسها بين ذراعي ظله..

وعندما يختفي من أمام بصرك، سيولد مرة أخرى في عقلك..

في خيالك..

في كيانك..

في وجدانك كله..

ستراه داخلك في كل لحظة، وتشم رائحته في كل مكان، وتشعر بوجوده في كل موقف..

حتى أحلامك، ستحوم كلها حوله، معبرة عن شوقك إليه، ولهفتك عليه، وأملك في أن تصحو، لتراه أمام عينيك..

وإذا ما لمسته يومًا، فستشعر وكأن هذه اللمسة قد أطلقت في جسدك تيارًا كهربيًا ناعمًا رقيقًا، ولكن قوته تكفي لإنارة ألف مدينة، لألف ألف عام..

وسيسرى هذا التيار في جسدك طويلاً..

طويلاً جدًا..

وسيضيء نفسك..

وقلبك..

ومشاعرك..

النور سيغمر كيانك، حتى ولو كنت في قلب الظلام وأعماقه..



وقلبك سيشتعل بشعور مبهر..

جسدك كله سينطلق بنشاط لم تعرفه في حياتك أبدًا..

ولن تنسى هذه اللمسة أبدًا..

ستحتضنها أطرافك العصبية، وتختزلها..

وتدمنها..

دومًا ستتمنى أن تحظى بها ثانية..

وأبدًا ستحفرها في عقلك..

ولفترة طويلة ستقدس موضوع تلامسكما، وتعشقه وتغمره بعواطفك وقبلاتك وحنانك..

أما كلمات من تحب، فستبدو لأذنيك كأجمل وأعذب موسيقى، في الكون كله..

لحنها سيثب من أذنيك إلى قلبك مباشرة، وستشعر به يرقص على أجمل سيمفونية في الوجود..

سيمفونية لم يملها كيانك قط..

وسيظل يعزفها أبد الدهر..

سيمفونية يقودها قلبك، ويعزفها أوركسترا خلاياك كلها..

إلى أبد الآبدين..

أما ابتسامة الحبيب، فهي دنيا ما بعدها دنيا..

هي أجمل مشهد تراه عيناك..

وأعظم لحظة يعيشها بصرك..

واكبر متعة تحظى بها مشاعرك..

وأسعد لحظة يعيشها كيانك..

ابتسامته هي ابتسامة الدنيا في نظرك..

هي ضحكة الكون..

وفرحة العمر..

وامل كل يوم..

بل هي هدف، ستسعى إليه منذ تفتح عينيك في الصباح، وحتى تغلقهما في الليل..

وحلم إما أن تراه، أو تتمنى رؤيته طوال الوقت..

اما لو بكى من تحب، فستشعر بقلبك يبكى معه..

يبكى دمًا..

دموعه ستصبح حممًا ملتهبة، تلتهم اعصابك ومشاعرك بلا رحمة..

ولن يهدأ لك بال حتى تمسحها..

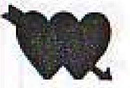
حتى تمحوها بكل قوتك..

وكل حبك..

وحتى تعود إليه الابتسامة..

وبأي ثمن..

وأحلامه ستصبح بالنسبة لك هدفًا، تسعى قبله لتحقيقها



له..

امنياته هي امنياتك..

رغباته كل ما تقاتل من أجله..

كل ما يريده هو امر مباشر لقلبك..

لكيانك..

لقدراتك..

وآه لو نطقت شفتاه بكلمة حب واحدة..

عندئذ ترتجف اذناك، وتنتقل ارتجافتها إلى قلبك، ومشاعرك..

إلى كل خلية في جسدك..

وسيخفق قلبك..

ويخفق..

ويخفق..

ويستمر في الخفقان، ما دامت الكلمة تتردد في أعماقك، وتعربد في وجدانك..

ولن تنساها أبدًا..

أبدًا..

ولن تسأل نفسك لماذا..

فهذا هو الحب..

شعور لا يمكن وصفه بعبارات محدودة..

او حتى في بحر منها..

فهو يحتاج إلى محيط من الحبر..

وشلال من الورق..

وقرون من الدهر..

وموسوعات من الشعر..

وأطنان من الأقلام..

وفيض من المشاعر..

ونهر من الأحاسيس..

وبحيرات من الانفعالات، و..

وقلب يحب!!

قلب واحد، خفق بالحب، يكفي ليمنحنا جواب السؤال..

فهذا هو الحب..

الحب..

كل الحب..

****

2 - أول حب..

في حداثتي، ومع بداية توغلي في عالم الرواية المصرية الساحر، جذبتني بشده عبارة قصيرة، أوردها الأديب الأستاذ (إحسان عبد القدوس) في بداية روايته الشهيرة، الوسادة الخالية التي تحولت إلى فيلم أكثر شهرة..

" في حياة كل منا وهم كبير، يسمى: الحب الأول.. لا تصدق هذا الوهم.. أن حبك الأول هو حبك الأخير!! "

أيامها بالطبع لم أتوقف طويلاً أمام العبارة، ولم أحاول مناقشتها أو تفنيدها ، فما دام الأستاذ (إحسان) كتبها، فهي صحيحة حتمًا!!

ثم مرت بي الأيام، وأصابني ما يصيب كل شباب الدنيا..

أحببت..

أحببت حبي الأول، وعشت فيه بكل كياني، وجوارحي، وعواطفي، وحتى أحلامي

وفي ذلك الحين فقدت التمييز، بين خفقات قلبي، ونبضات

حبي.. ولفترة طويلة، خلتهما قد امتزجا، واختلطا، وصارا كيانا واحدًا لا ينفصم..

وكلما وقع بصري علي محبوبتي - آنذاك - كان قلبي يصرخ بحبها، وأطرافي ترتجف بعشقها، وأنفاسي لا تتنسم سوى هواها..

فقط هواها..

وتصورت أن ذلك الحب سيبقى في قلبي إلى الأبد، ولن يفارقه لحظة واحدة، مادام في صدري نفس يتردد..

ولأن الظروف لم تكن تجمعني بحبيبة قلبي الصغير، إلا لمدة شهر واحد كل عام، فكنت أقضي الأحد عشر شهرًا الأخرى في وله، وهيام، وأحلام، وخيال يرسم الف صورة وصورة للقاء المرتقب، مع نسمات الصيف القادمة..

والطريف أن كل هذا كان يدور في أعماقي وحدي، لأن محبوبتي لم تكن تفكر حتمًا بالأسلوب نفسه..

ولا بالعاطفة نفسها..

صحيح أن ابتسامة كبيرة كانت تملأ وجهها كلما التقينا، ولكنها نفس الابتسامة، التي كانت تمنحها للآخرين، ذكورًا كانوا أو إناث..

ابتسامة عذبة، طيبة، هادئة، كانت أول ما خلب لبي بشأنها..

ولست أدرى حتى كيف ذهب كل هذا؟!



كيف تبخر الحب كله دفعة واحدة، ما بين صيف وآخر؟!

كل ما أذكره هو أنني قد استيقظت فجأة، في ليلة من ليالي الشتاء، لأجد نفسي غارقًا في حب أخرى، يفصلها عن منزلي شارع واحد..

وهذه ليست سيرة ذاتية، بقدر ما هي صورة لما يكون عليه قلب أي شاب صغير، وهو يخوض تجربة حبه الأولى..

ولقد تطورت شخصيتي، ودخلت عليها عشرات التعديلات، خلال سنوات عمري التي تجاوزت الأربعين، والتي شهدت عدة صور من الحب، قبل أن أتوقف ذات يوم، وأعيد قراءة عبارة الأستاذ (إحسان عبد القدوس) مرة ثانية..

وفي تلك المرة الثانية، وجدت نفسي أقف أمام العبارة حائرًا بحق..

فما الذي يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط؟!

أمن المحتم حقًا أن يكون الحب الأول مجرد وهم؟!

ثم ماذا عن الحب الأخير؟!

ما المقصود بأن الحب الأول هو الحب الأخير؟!

العبارة، من الناحية اللغوية، تقبل معنيين متناقضين تمامًا..

فمن الممكن أن تعنى العبارة أن الحب الوحيد الصادق، في حياة كل مخلوق، هو حبه الفطري الأول، والذي يتم بتلقائية وحرارة،

على نحو لا يمكن أن يتوافر في اي حب تال، مهما بلغت قوته، إذ أنه الخفقة الأولى، في قلب كل محب، والتي تقفز به، من عالم الطفولة، إلى عالم الصبا والشباب واقتحام الحياة..

باختصار، الحب الأول وحده الذي ينتزع عذرية القلب، على نحو لا يتكرر، ولا يمكن أن يتكرر قط..

أو ان العبارة تعنى أن الحب الأول هو الحب الحقيقي، الذي استقر اخيرا في الوجدان، وتغلغل في الكيان، بعد أن اختبر القلب الدنيا، وخاض تجاربها، ثم أدرك في النهاية ما هو الحب؟!

وكيف يحب..

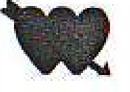
ومتى يدرك انه أحب..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور، ما زلت عاجزًا عن، الجزم، بما كان يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط من عبارته، إذ أنه وحده - رحمه الله - كان باستطاعته تحديد ما يرمى إليه..

ولكنني، وحتما، وبكل ثقة، أختلف، مع أستاذي تماما في اعتبار ان الحب الأول مجرد وهم..

الحب الأول هو اول حب..

ربما ينسى المرء من أحبها، او تنسى الواحدة من أحبته، بعد أن يفصلهما القدر لسنوات وسنوات، ولكنهما لو التقيا لحظة واحدة، لانزاحت في رأس كل منهما كل ذكريات الدنيا، فيما عدا أن من أمام كل منهما هو حبه الأول..



ربما يفتقر إلى العوامل القوية، اللازمة لبقاء واستمرار اي

حب..

ولكنه لن يصبح أبدا أي حب..

إنه أول حب..

ربما ينسى المرء أنه أحبها، وما، من قوة،يمكنها ان تنتزع عنه هذا اللقب أبدًا..

هذا لا يعنى بالطبع انه سيستمر، أو يبقى، او حتى يترك أثرًا في قلب صاحبه، ولكن من المؤكد انه لن يمضى دون أن يترك خلفه ما يرشد إليه، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا..

ربما يترك ضحكة..

او ابتسامة..

أو حتى لمحة حزن..

المهم انه لن يذهب أبدًا..

فتشوا في أعماقكم بصدق وإخلاص، وستكشفون أنني على حق..

حبكم الأول هناك، في بؤرة مظلمة من أعماق أعماق قلبكم، ينزوي هناك صامتا، لأنكم تخشون مجرد استرجاعه، حتى لا يفسد هذا حبكم الحالي..

أو حتى القادم..

وأول حب في حياة الإنسان يمنحه نشوة ما بعدها نشوة في حينه، ثم ينتهي دوما على نحو مباغت، أو غير متوقع..

فجأة، يرتبط الطرف الثاني بآخر..

أو يبتعد..

أو حتى ينتقل إلى مكان آخر..

المهم أن أول حب لا يمكن أن يستمر، إلا في حالات بالغة الندرة، إلى حد يكاد يقارب المستحيل..

وهذا أمر حتمي، حتى تستمر الحياة وتتواصل..

لابد أن يتجاوز الشخص - أي شخص - محنة الحب الأول هذه، فالأشخاص الذين يعيشونها أكثر مما ينبغي، تصيبهم العقد النفسية، والمنغصات المعنوية، ويبدأ حاضرهم ومستقبلهم في التآكل رويدًا رويدًا، فلا يعود لهم من حياتهم كلها سوى الماضي.. والماضي وحده..

وما لا يدركه هؤلاء المساكين هو أن مشكلة الحب الأول الرئيسية هي المقاييس والمعايير..

فالمقاييس التي يتم اختيار المحبوب الأول بها تتناسب حتمًا مع العمر الذي يتم فيه هذا الاختيار..

ومع معايير مرحلة المراهقة..

فمع تفتح زهرة القلب لأول حب، تنتبه العين إلى المعايير الشكلية في المقام الأول.. وتنبهر بسرعة..

تنبهر بالجمال، والوسامة، ولون العينين، ونعومة الشعر..

لهذا تجد أن المراهق ينشغل دومًا بالجميلات، والمراهقة تهيم



عشقًا بكل وسيم..

ولهذا أيضًا يبدأ الشباب فجأة في الاهتمام بشكلهم الخارجي ورائحتهم، وحلاوتهم وحتى خفة ظلهم..

ولأن مقاييس الاختيار هنا سطحية ومباشرة أكثر مما ينبغي، فمن غير المنطقي أو العملي أن يتواصل هذا الحب أو يستمر..

حتمًا سينهار وينتهي.. مع أول شعاع من شمس النضج..

أو حتى يتفتت تحت وطأة شكل وسامة، أو وجه أكثر جمالاً وحلاوة..

وهنا يتلقى القلب أول صدمة عاطفية..

صدمة فشل الحب..

أو بمعنى أكثر دقة، صدمة حقيقة ذلك الحب الهش..

ورد الفعل هنا مهم جدًا..

وخطير جدًا..

فقليلون هم من يتجاوزون هذه الصدمة بسرعة، ويلقونها خلف ظهورهم، ويمضون في حياتهم، ليغسلوا جراح أول حب، إما بحب آخر، أو بعمل وجهد ونشاط..

أما الغالبية العظمى، فتقضي وقتًا طويلاً في البكاء على الحب الوهمي الضائع، والعاطفة الزائفة المسكوبة..

وبعد فترة - تطول أو تقصر - تتجاوز النسبة الأعظم، من

المجموعة الأخيرة هذه المحنة..

اما من يبقى، فهو الضحية التي تستحق الرثاء بحق..

الضحية التي ترفض الخروج من المحنة، وتتشبث بها، وتمضى شطرًا طويلاً من عمرها في البكاء، والغضب، والنقمة على الطرف الأخر، الذي لم يدر أبدًا - ربما - ما دار في قلبه يومًا ما..

الضحية التي تهدر حاضرها ومستقبلها، من اجل حب وهمي مضى، فتنقم، وتحزن، وتثور، بل وربما تخطط لانتقام ما أيضا..

كل هذا خطا في خطا..

هذا لأن اول حب هو مجرد تجربة لنبض القلب، وتحرير المشاعر، وإشعال العواطف والأحاسيس..

ولكنه ليس نهاية الحياة..

أنه فقط البداية..

البداية لقلب جديد، تجاوز على التو مرحلة مرح وعبث الطفولة، ووثب منها إلى مرحلة شباب وانطلاق وحرارة..

مرحلة يأتي فيها حتمًا حب آخر..

وآخر..

وآخر..

وكلما مضت أيام العمر، اختلفت مقاييس ومعايير الحب، وظهرت للقلب أنواع جديدة، والوان جديدة من الحب، و..

ولهذا حديث أخر.

***

3 - وللحب ألوان..

ترى ما لون الحب، الذي يروق له بالضبط؟!

قد يبدو لك السؤال غريبًا عجيبًا، وربما غير منطقي أيضا، بل ومن المحتمل أن تستنكره، وتغضب منه، وتتصور أنه مجرد تلاعب لفظي..

ولكن الواقع أن الحب له الوان بالفعل..

وألوان الحب ليست ألوانا زاهية، أو واضحة للعين، ولكنها اشبه بقوس قزح، يتألق في عمق القلب، مع انهمار أمطار الحب في العروق..

وكما تميل عين كل منا إلى لون ما، من الوان الطبيعة، يتناسب مع شخصيتنا، ويصلح لتحديد اتجاهاتنا النفسية، كذلك يميل قلب كل منا إلى لون من ألوان الحب يتناسب أيضا مع شخصيته، لتحديد هويته النفسية.

وألوان الحب مجرد مصطلح، يرتبط بالشيء الذي جذبنا إلى محبوبنا، أو محبوبتنا، والذي من اجله وقعنا في بحر حبه، وغرقنا داخله حتى النخاع..

واول لون من الوان الحب هو اللون الوردي، أو الحب الرومانسي، الذي ينتبه فيه كل طرف إلى المشاعر الرقيقة لدى الطرف الأخر، وإلى حساسيته، وأحاسيسه، ولمساته، وحتى هيامه واحلامه..

وفي مثل هذا اللون من الحب، يكون للمظهر الخارجي أهمية بالغة، في نظر كل من طرفي حالة الحب، إذ أن النظرة الرومانسية للأمور تحتم ان يكون الطرف الأخر أشبه بنجوم السينما حتى تكتمل الصورة، فلا يمكن لفتاة رومانسية مثلا أن تتصور نفسها في حالة حب مع شخص أصلع سمين، له كرش ضخم، يشف عن اهتمام غير طبيعي بالطعام والشراب، كما يصعب على اي شاب رومانسي أن يرسم صورة حب جميلة مع فتاة بدينة، فطساء الأنف، أو غليظة الملامح..

هذا لأن اللون الوردي هو الغالب على كل الأمور..

وعلى كل الأشياء..

والأشخاص الذين يميلون إلى الحب الوردي، يغرقون طويلاً في احلام اليقظة، ويقضون وقتا طويلاً في تخيل لحظات لقاءهم القادمة مع الحبيب، ويرسمون صورة أنيقة جميلة مثالية لها، بل ويكتبون السيناريو الكامل للقاء، من ناحيتهم وحدهم..

ولهذا تكون صدماتهم عنيفة في المعتاد..

فالطرف الأخر قد يكون رومانسيًا بدوره، مما يمنحه الحق في أن يرسم الصورة من وجهة نظره أيضًا..



وعندما يلتقيان، تكون لدى كل منهما صورة رومانسية جميلة وأنيقة، وشاعرية، ورقيقة..

ولكنها مختلفة..

والاختلاف بين منظوريهما للأمور، قد يصدم كل منهما، دون أن يقصد الأخر هذا، أو حتى يتمناه..

كل ما في الأمر هو أن كل منهما قد ارتطم بصورة، تخالف تمامًا تلك التي ظل يرسمها في ذهنه طويلاً..

صحيح أنها تكون صورة جميلة أيضًا، ولكنها لا تشبه صورته..

وهذا قد يورث بعض الإحباط..

والضيق..

وربما النفور أيضًا..

ومع مرور الوقت، وتكرار الإحباط، التي لا يفصح عنها الطرفان في المعتاد، تتعاظم الأمور وتمتد، ويصبح من السهل ان يحدث الصدام..

والخلاف..

والفراق في بعض الأحيان..

وهذا يمكن أن يحدث..

ويمكن ألا يحدث أبدًا..

فكثيرًا ما يكون المحب الرومانسي رقيق الشاعر، حتى انه

يأبى إيذاء مشاعر الطرف الآخر..

فيحتمل..

ويحتمل..

ويحتمل..

وربما تكون لديه القدرة على الاحتمال إلى الأبد، مهما كانت الإحباطات والمنغصات..

بل وربما يبذل قصارى جهده أيضًا، ليتوافق تمامًا مع الصورة، التي رسمها له الطرف الآخر..

وفي هذه الحالة سيستمر الحب..

وستستمر الحياة..

ولكنها لن تصبح رومانسية، إلا من طرف واحد..

ومن المحتمل أيضًا أن يبدأ الحب الوردي على النحو نفسه..

من طرف واحد..

أن يبدأ الحب بطرف رومانسي، وآخر واقعي..

وفي هذه الحالة ستكون الخلافات أكثر..

والإحباطات أضخم..

وفي كل الأحوال من العسير أن يستمر الحب الوردي لفترات طويلة، دون أن يتغير لونه، أو تتغير طبيعته، إذ أن متغيرات الحياة نفسها ستحتم تغيرات جذرية في الحياة، والعمل، والدخل..



وحتى في مشاعر الطرفين أيضًا..

الطريف أن كل مخلوق في الدنيا يحلم بحب وردي، ولو لمرة واحدة في العمر، ولكن من النادر في الوقت ذاته، أن تجد حبًا ورديًا قادرًا على الاستمرار، والمقاومة..

والبقاء..

هذا لأن الحب الوردي أشبه بالزهور اليانعة، لا يمكن أن تستمر، وأن تحتفظ برونقها وعبيرها، إلا لو واظبت على رعايتها والعناية بها، دون أن تغفل عينك عنها لحظة واحدة..

وفي عالمنا، لا يمكنك أن تعتني بزهرتك الوردية، بكل هذا القدر، دون أن تهمل جوانب أخرى من الحياة، لها أهمية قصوى للاستمرار والتقدم..

هذا يخص الحب الوردي..

فماذا عن الحب الأحمر؟!

الحب الأحمر هو حب قوي..

ناري..

ملتهب..

حب يولي اهتمامًا كبيرًا بالجسد، أكثر مما يوليه للروح..

بمعنى أدق، هو حب غارق في المشاعر الحسية، والمتع الجسدية..

والذين يميلون إلى الحب الأحمر، هم في المعتاد ممن لا يتصورون الحياة أو الحب، دون تلامس بين المحبين..

وهذا التلامس لا يكتفي بمداعبات الأصابع، أو عناق الأيدي، ولكنه ينشد دومًا ما يفوق هذا..

بكثير..

وأصحاب الحب الأحمر يميلون دائمًا للأجساد المثالية، التي تشف عن قوة وذروة نوعية..

فالأنثى لا تميل إلا إلى الذكر القوى المفتول العضلات، الخشن الصوت والملامح الصارم في أسلوبه وتعاملاته..

أما الذكر، فلا تجذب انتباهه سوى أنثى مفرطة في الأنوثة، في صوتها، وهيئتها، وقوامها، وحركاتها، وإيماءاتها..

ما ينطبق على الحب الوردي، ينطبق على نحو أكثر وضوحا؛ على الحب الأحمر..

مع فارق واحد..

وفي معظم الأحوال، تكون الأنثى هي الطرف المتسامح، في مثل هذه العلاقة، إذ أن اهتمام الذكر بالعلاقات الجسدية يفوق اهتمام الأنثى بمراحل شتى، حتى أنه في طبيعته الجينية، لا يمكنه أن يكتفي بأنثى واحدة، إلا بصعوبة بالغة، وهذا ما أثبتته الأبحاث العلمية مؤخرًا، عندما أكدت أن جينات الذكر تدفعه إلى التعدد في العلاقات، وفي حين أن جينات الأنثى تدفعها إلى الاستقرار والانفرادية في علاقاتها..

وبالطبع توجد استثناءات لكل قاعدة، ولكن هذا يوضح لنا لماذا أحل الله (سبحانه وتعالى) للذكر مثنى وثلاث ورباع، في حين لم يحل للمرأة سوى زوج واحد..



وسيختلف معي البعض بشدة حتمًا، حول هذه النقطة، وستفهمني النساء بالتحديد بأنني أدعو إلى تعدد الزوجات وربما تتهمني بعضهن بالتخلف والهمجية أيضا، كما اعتدن مهاجمة كل من يناقش هذه النقطة، ولكن العلم والدين لا يعرفان المجاملة أو المهادنة..

فالعلم هو العلم..

والدين هو الدين..

ونحن أضعف وأقل من أن نعاند أمرًا كهذا..

ببساطة لأننا نجهل الصورة الكاملة للأمور..

ونجهل أكثر ما الذي يمكن أن يحدث غدًا..

فماذا لو نشبت حرب طاحنة، والتهمت الشطر الأعظم من الذكور، كما تفعل معظم الحروب؟!

ماذا ستفعل النساء عندئذ؟!

ربما لن يكون هناك أمل سوى في التعددية؟!

ربما!!

لا أحد يدرى..

ولا أحد يعلم..

ولهذا ليس من حق أحد أن يهاجم أو يعاند..

ولكن دعنا نعود إلى موضوعنا الرئيسي..

الحب الأحمر..

فهذا الحب هو أسهل حب يمكن أن يذبل وينزوي مع الزمن، ببساطة، لأن الزمن نفسه لن يبقى على مثالية الأجساد، مهما بذل أصحابها من جهد..

ستذبل الأجساد حتمًا مع الوقت..

وتهرم..

وتشيخ..

وتذوى..

ولو أن الحب يرتبط بها وحدها، فسيمر بكل المراحل السابقة.

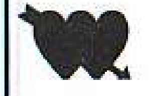
أو يمر قبلها بمرحلة أكثر خطورة..

مرحلة الاعتياد..

فالحب القائم على الجسد، حب سريع الملل والضجر، وأي مخلوق في الدنيا، مهما امتلك جسدًا رائعًا، لن يلبث أن يبدو عاديًا مألوفًا، بل ومضجرًا أيضًا، في عيني الطرف الأخر، بعد أن يمتلكه بالفعل، ويعتاده، ويفقد حالة الانبهار والانجذاب تجاهه..

ولهذا تفشل معظم حالات الحب الأحمر، لو أنها لا تستند إلى اي أمر أخر.. تفشل تمامًا..

وعلى الرغم من أن بعض الإناث تلجأن إلى استثارة الأجساد، كسبيل للإيقاع بحبيب، إلا أنهن يدركن جيدًا، في الوقت ذاته، أن الارتباط الجسدي واه وهش للغاية، لأن المحب لن يلبث أن يعشق



جسدًا أخر، أو يقع في غرام قوام أفضل..

أو حتى قوام مختلف..

ولهذا تجد أن معظم الأزمات النفسية من نصيب عشاق الحب الأحمر، لأنهم في حالة تنافس مستمرة، وصراع متصل، للحفاظ على وجودهم، وتفوقهم، وحبهم..

ولا يشعرون بالاستقرار أبدًا..

ومن هذا الجانب يعتبر الحب الأحمر أكثر أنواع الحب تعبًا وإرهاقًا، وأسرعها ذبولاً وفناء على الإطلاق..

هذا بخلاف الحب الأخضر..

والحب الأخضر هذا.. هو حب ناضج، يدرك كل طرف فيه مزايا وعيوب الطرف الآخر، ويتقبله بجانبيه، الجيد والرديء، باعتبار أنه ما من إنسان كامل..

بل وما من مخلوق كامل، في الكون كله..

فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده..

وأصحاب الحب الأخضر هم الأكثر قدرة على تحمل المصاعب، وتجاوز العقبات، وتفادى المصادمات العنيفة، لذا فهم الأقدر على التواصل والاستمرار..

والنجاح..

وفي الحب الأخضر، يتم الاختيار بمزيج من العقل والقلب معًا، فكل طرف يحب شيئًا ما في الطرف الأخر، ويتغاضى عن أشياء

أخرى قد لا تروق له أو تتوافق معه..

وحالات الحب الأخضر قابلة للنجاح أكثر من غيرها بكثير بشرط الا تكون عيوب احد الطرفين جوهرية او خطيرة، كالبخل الشديد، او العصبية المفرطة، أو العدوانية غير المبررة مثلاً..

فالأنثى مثلاً، يمكن أن تحتمل أي عيوب في الذكر، فيما عدا بخله..

البخل الشديد ينفرها، ويغضبها، ويحنقها، ويجعلها تتصور انها لا تساوى شيئا في نظر محبوبها..

وفي مراحل صباها ومراهقتها، واوائل شبابها، قد لا تجيد الأنثى التفرقة بين محدودية دخل المحبوب وطبيعته البخيلة، فتسيء تفسير عجزه المادي عن الإنفاق، باعتباره بخلاً وشحا..

وقد تغضب..

وتثور..

وتهجر أيضا..

وفي مرحلة نضجها، ستدرك طبيعة الفرق..

وعندئذ ستتحمل..

وترضى..

وتحب..

هذا لو أنها تميل إلى الحب الأخضر..

الحب الواقعي..



المنطقي..

والمتسامح..

وفي نفس الوقت، الذي نجد فيه الوانا من الحب، تميل إلى الرومانسية، أو الشهوانية، أو تمزج بين العقل والقلب، نجد ايضا نوعا من الحب بلا الوان..

حب ابيض واسود..

حب واقعي تماما، لا يرى من الحياة أي درجة من درجات اللون الرمادي..

يرى فقط اللونين الأساسيين..

الأبيض والأسود..

وهذا اللون من الحب ليس لديه أمور وسط، فكل شيء إما صحيح تماما أو خطأ تماما..

وسيدهشك أن أصحاب هذا الحب، هم القادرون على التعامل مع كل أصحاب الألوان الأخرى، مادام هذا يحقق مصالحهم، التي يحسبونها دوما بمنتهي الدقة، ولا يتنازلون عن تحقيقها أبدا..

فالحب في نظرهم مجرد وسيلة، لتحقيق احلامهم وطموحاتهم، مع اقل القليل من التعب والتضحيات..

وأصحاب هذا النوع لا تخفق قلوبهم أبدا، حتى أنهم قد يبدون كمن لا قلب له ولا مشاعر عنده..

وحتى لو حاولت قلوبهم أن تخفق، فهم يخمدون خفقانها

على الفور ، لأن نبضات القلب والحب عندهم مجرد حماقة، أو نقاط ضعف، لابد من هزيمتها، والتغلب عليها فوزا، وإلا فسدت خططهم، وضاعت أحلامهم إلى الأبد..

ولأنهم لا يحبون أبدا، يكون باستطاعتهم أن يتلاعبوا بمشاعر الطرف الآخر، أيا كان لونه..

فلو أنهم يرتبطون بشخص رومانسي النزعة، تجدهم أساتذة في التعامل بمنتهي الرومانسية والشاعرية والرقة..

ولو كان المحب من هواة الحب الأحمر، سيبذلون كل ذرة في أجسادهم، لإرضائه، وإمتاعه، وخلب لبه..

أما لو أنه من المنتمين إلى الحب الأخضر، فستكون المعركة صعبة إلى حد كبير إذ أن عليهم أن يملأوا عقله وقلبه معًا..

وهم في العادة يفلحون..

ولكن لفترة محدودة..

فترة قد تطول أو تقصر، ولكنها تنتهي بكشف أمرهم حتمًا..

هذا لأنهم لا يحتملون التلون طويلاً..

وإن عاجلاً أو آجلا.. سينكشف أمرهم..

وتسقط الأقنعة عن وجوههم، ويظهرون على حقيقتهم..

أحيانا في الوقت المناسب..

وغالبًا بعد فوات الأوان..

وعندئذ تحدث الكارثة، وتكون صدمة عنيفة للطرف



الثاني..

ولهذا حديث آخر..

***

4 - حبك نار

هل عرفت يوما ذلك الحب.. النار؟!

الحب الحار..

الساخن..

الملتهب..

ذلك الحب الذي ما أن يدخل قلبك، حتى يشعل النيران في كل خلاياه ويحول الدماء فيه إلى حمم لا تبقى في كيانك ذره واحدة، إلا وتتحرق لهفة لرؤية المحب، ومقابلته، والعيش بين ذراعيه حتى آخر العمر..

وللوهلة الأولى يبدو ذلك الحب أشبه بالحلم الذي يتمنى كل إنسان أن يحياه ولو لليلة واحدة..

الحلم في أن يُحب بكل هذه القوة..

وأن يُحَب أيضا بالقوة نفسها..

وقديمًا، كانت قصص الحب من ذلك النوع حيث يغرق



الحبيب في عشق محبوبته منذ اللحظة الأولى، ويمتلكه حبها حتى النخاع، فيقاتل ويخوض غمار الحروب والمعارك، حتى يفوز بها..

أو لمجرد أن يثبت حبه..

وهذه الصورة دائما جميلة وخلابة، وبالذات للجنس الطيف، إذ انه ما من فتاه أو امرأة في العالم، إلا وتتمنى أن يحبها شخص ما كل هذا الحب العاصف الجارف..

وان يذوب عشقا لخطواتها..

وهمساتها..

ولمساتها..

وحتى لمجرد مرآها..

والأنثى، كل أنثى، تجد في هذا الحب كل الراحة..

والاطمئنان..

والسعادة..

والأمان..

ولكن بشرط واحد..

ان تميل إلى من يمنحها كل هذا الحب..

وان يمكنها هي أيضا، على نحو أو آخر، وأن تحبه فإن لم يتحقق هذا الشرط، الأساسي جدا، فالحب نفسه سيتحول في هذه الحالة، إلى نار حقيقية..

نار تلسع..

وتلهب..

وتحرق أيضا..

وسيتحول الحلم نفسه، بأدق تفاصيله إلى كابوس..

كابوس بشع، يرتجف المرء كلما آوى إلى فراشه، خشية أن يلتقي به في منامه..

فماذا عن صحوه؟

فالمحب الذي يعشق الآخر بحب نار، لا يمكن أن يقبل بالتنازل عنه أبدًا..

مهما كان الثمن..

ومهما كانت التضحيات..

ومهما بلغت الصعاب..

فإذا لم يظفر به مباشرة فيظل يطارده في إلحاح..

ويقاتل للظفر به..

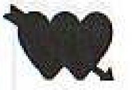
ويجاهد للفوز بمشاعره..

وبالنسبة للطرف الآخر، ستصبح هذه مشكلة، ما بعدها مشكلة..

وبالذات لو الطرف الثاني هو الأنثى..

فالأنثى تركيبة خاصة جدًا تختلف تمام الاختلاف عن الذكر، في أن مشاعرها قوية..

واضحة..



واثقة..

ومؤكدة..

وهذا بالنسبة لها شخصيًا على الأقل..

وبسبب كل هذا فمشاعر المرأة مباشرة جدًا، ولا تقبل في نظرها المساومة أو التهاون..

وليس لديها أي حل وسط..

فهي إما تحب..

أو لا تحب..

والحب أو اللاحب يحولان المرأة إلى كائنين مختلفين تمامًا..

فإذا ما أحبت، أصبح المحبوب هو كل شيء في الوجود..

ملامحه وسيمة..

دعابته مضحكة..

أفكاره عبقرية..

وحتى أخطاؤه هي نتاج، حكمة، وذكاء، وبعد النظر..

أما لو لم تحب، فكل شيء ينقلب إلى العكس تمامًا..

الملامح تصبح مستفزة..

والدعابات سمجة..

والأفكار غبية..

أما الأخطاء، فهي تعبير عن الحماقة، والسخافة، وقصر

النظر..

ومن الطبيعي أن تسعد كل امرأة في الدنيا، عندما يحبها، حبا من نار، شخص وسيم..

لطيف..

وعبقري..

ومن الأكثر طبيعة أن تضيق، أو حتى تغضب، إذا ما جاء هذا الحب من شخص مستفز، وسمج، وغبي ايضا..

وكل هذا طبعا من منظورها وحدها..

فمن الممكن جدا أن تتفق الدنيا على أن ذلك الذي يحبها، شخص ممتاز، أو رائع، وتتمناه كل أنثى في الدنيا..

ولكنها وحدها، لا ترد هذا..

فلا تحب..

أو تميل..

أو تتفاعل..

وعلى العكس تماما، فقد تجد دهشة عارمة في وجوه الجميع من، سخافة وضالة وتفاهة الشخص، الذي وقعت في غرامه امرأة ما، وذابت في عشقه، كما لم تذب امرأة في عشق رجل من قبل!!

ويا لسعادتها وفرحتها، لو أحبها هو بدوره..

ويا لروعة الدنيا لو كان حبه من ذلك النوع..

الحب النار..

والتاريخ المكتوب، أو حتى الروائي، لا يتوقف طويلا أمام اي حب، حتى ولو كان حبا من نار، لو أنه حب من طرف واحد، ففي هذه الحالة يعتبر دوما، نوعا من الحب الياس..

البائس..

الفاشل..

أما لو حدثت المعجزة، وأصبح الحب من نار، من الطرفين في آنٍ واحد، فلا احد في الدنيا يمكنه أن يتجاهل هذا..

أو حتى يدير عينيه عنه..

فالنار تلتقي بالنار، ليصنعان معًا شلالاً من اللهب، لا يمكنك إلا أن تتوقف أمامه مبهوتا ومبهورًا..

وربما حاسدًا أيضًا..

ولأنه حب مزدوج من نار، والنار تلتهم كل ما يعترض طريقها في المعتاد، فذلك الحب النادر يبدو أشبه بموجة هائلة، تكتسح أمامها كل شيء في الوجود، لتثبت قوتها..

وتؤكد صدقها..

وتستقر هادئة متماسكة في النهاية..

وراجع معي التاريخ..

التاريخ الفعلي..

و التاريخ الروائي..

من منا يجهل تفاصيل الرواية الخالدة (روميو) و(جوليت)،

عندما ربط بينهما حب من نار، تجاوز الخلافات الأزلية والموروثة بين عائلتيهما، وتحدى عناد وإصرار الأسرتين، وقاتل عنف الجميع لمنع ارتباطهما، الذي لم يكتب له أن يتم في الحياة الدنيا، وانتهى إلى لقاء في الحياة الآخرة.

ومن لم يسمع اشعار (عنترة العبسي)، في محبوبته وابنة عمه (عبلة)، الذي قاتل من اجلها جنود (كسرى)، ليعود إليها بالنياق الحمر..

بل ومن لم تبهره قصة الملك (إدوارد)، الذي تخلّى عن عرشه وملكه، وخلع عن راسه تاج (انجلترا) حتى آخر العمر، ليفوز بقلب حبيبته مسز (سمبسون)، ويكتفيان معًا بدوقية (ويندسور) التي احتوت حبهما المشتعل، حتى آخر لحظة في حياتهما..

ولاحظوا انه، في معظم هذه القصص، كان هناك شخص ثالث..

حبيب آخر يتملكه أيضًا حب من النار..

ولكن البطلة ترفضه..

وتنبذه..

بل وتكرهه أيضًا..

الحب إذن من نار، في كل الأحوال..

ولكن ليست كل النيران عظيمة..

محبة..

أو سخية..



هذا ما علمنا إياه التاريخ..

وما لقننا إياه الأدب..

وما أكدته لنا الدنيا..

وما أوصلنا إليه التفكير المرتب المنطقي، عندما نناقش فكرة الحب الملتهب، عندما يتملك الرجل تجاه المراة..

والآن علينا أن نتساءل عما يمكن أن يحدث، لو ان العكس هو الصحيح..

لو أن المراة هي التي تحب الرجل، حبًا من نار!!

صحيح أن الحالات المعروفة في هذا المضمار نادرة، إلا ان هذا لا يعنى أنها غير موجودة على نطاق واسع..

كل ما في الأمر، أن المراة ليست لها الجراة الكافية، للإفصاح عن حب من نار يلتهم أعماقها، تجاه رجل لا يشعر بوجودها..

أو حتى لا يدرك هذا..

ولأن ثقافتنا مازالت شرقية، ذكورية، متزمتة، مهما بدا العكس، في الآونة الأخيرة، فالمجتمع يواجه المراة بالصدمة، والاستنكار، والازدراء، وربما النفور أيضًا، لو أنها افصحت عن حقيقة مشاعرها، تجاه رجل ما..

فما بالك لو أن مشاعرها هذه من نار!

لذا، فقد نمت المراة، ونشات، وترعرعت، وتربت على إخفاء مشاعرها، وكتمانها..

بل وإنكارها في بعض الأحيان..

ولكن هذا لا يمنعها من السعي المستميت، للفوز بمن أشعل قلبها..

و للمراة في هذا وسائل مختلفة، تبدأ بمحاولة لفت الانتباه، وإيقاظ المشاعر، وتنتهي بمحاولات الإغواء في حالات نادرة..

وبعض الرجال يسعدهم جدًا أن تسعى الأنثى خلفهم، لأن هذا يشعرهم باهميتهم، وكفاءتهم، وجاذبيتهم تجاه الجنس الآخر..

وهذا النوع من الرجال ينبهر، إذا ما لمس نيران حب أنثى ما..

وربما سقط في حبها أيضا، ويوفر لها مشوارًا من السعي والتعب والمحاولة..

أو تروق له اللعبة، فيتمادى في إظهار لامبالاته، لينعم بسعيها خلفه أكثر وأكثر.. و المراة لديها ذكاء خاص، في هذا المضمار بالذات، وهي تدرك بسرعة حقيقة مشاعر الرجل تجاهها، وتتخذ قرارها بناء على حصيلة دمج مشاعرها بمشاعره، ومن منظورها الخاص جدًا..

فقد تواصل القتال، مع تغيير التكنيك..

أو تتوقف، لالتقاط أنفاسها، وإعادة دراسة الموقف..

أو تدرك أنها تخوض حربًا خاسرة..

فتنسحب..



والحالة الأخيرة، لا تلجأ إليها المراة أبدًا، إلا إذا أدركت أن

الرجل، الذي شغف به قلبها، واقع في عشق أخرى..

وأن تلك الأخرى تبادله عشقًا بعشق..

في هذه الحالة فقط، تدرك أن القتال عقيم، وأن جبهة أخرى قد فازت بالنصر في المعركة..

وهذا ليس أمرًا حتميًا، بل من الممكن جدًا أن تواصل المراة القتال، على الرغم من كل هذا..

وعندئذ تتحول إلى كتلة من النار بالفعل..

نار تحرق كل ما أمامها، بلا رحمة أو شفقة، وتلقي خلف ظهرها كل القواعد والتقاليد، في سبيل الفوز بمن تحب..

والفوز فقط.. والدافع هو الحب نفسه..

الحب النار..

وعلى الرغم من كل ما سبق، ومن الصورة الملتهبة، التي يصنعها الحديث عن الحب النار، إلا انه حب قصير المدى، مهما طال عمره..

تمامًا كالنار..

تحرق، وتنتشر، وتلتهم..

ثم لا تلبث أن تهدأ، وتخبو، وتنطفئ..

وتتحول إلى رماد ساخن، سرعان ما يبرد..

ويبرد..

ويبرد..

فمشكلة هذا النوع من الحب، هو انه يحتاج إلى حطب يزكيه باستمرار، ويضمن اشتعاله على النحو نفسه طوال الوقت..

ومشكلته الكبرى أن طرفيه يعشقانه، ويأبيان التخلي عنه، أو القبول بتحوله إلى حب هادئ، عميق مستقر..

ولأن دوام الحال من المحال، فمن الطبيعي أن تهدأ نيران الحب بالارتباط..

وان يفقد سمته الأساسية..

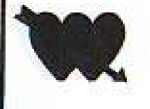
الالتهاب..

وعندئذ يغضب احد المحبين، ويثور، و..

وهذا امر طبيعي، لأنه يتفق تمامًا مع ذلك النوع من الحب..

الحب النار..

* * *



5 - وليه لأ..

الحب عيب !!

حرام !!

خطا !!

وهذا ما تربينا عليه في طفولتنا، ونشانا ونحن نسمعه من آباءنا، ومعلمينا، وأهلنا، وكل كبير نلتقي به، ويصنع من نفسه واعظًا، لتلقيننا مبادئ الحياة، دون أن يطالبه احد بهذا..

المدهش ان أحدا لم يحاول تحذيرنا من الكراهية..

والبغض..

والغيرة..

والحسد..

كل المشاعر السيئة كانت بالنسبة لهم امرًا عاديًا، وسليمًا، ولا غبار عليها..

فقط الحب هو الخطا..

كل الخطأ..

موروث عجيب، توارثناه لقرون من الزمان، وغرسه في عقولنا..

وعروقنا..

وقلوبنا..

وحتى في نخاعنا..

والعجيب أننا لم نتوقف لحظة، لنتناقش هذه التحذيرات، ونحاول فهمها واستيعابها..

فمادام الحب أمر خطير وسيء إلى هذا الحد، فكيف يمكن أن نناقشه؟!

بل ومن سيسمح لنا بهذا؟!

فمنذ عقود وعقود، صنعوا أسوارًا عالية وسميكة حول الحب..

ذلك الشعور الغريزي، الذي لا يمكن منعه، أو كبحه، أو تجاهله..

ولان الحب ينمو في الأعماق، ويجرى في العروق مجرى الدم، كنا نعجز دوما عن مقاومته وكبحه..

وكنا نحب..

ونهوى..

ونعشق..



ثم نشعر بالذنب..

والخزي..

والعار..

ولأنهم نجحوا في عمليات غسيل المخ، واقنعونا أن الحب حرام، فإننا نشعر دوما بالتوتر، كلما ساورتنا مشاعر الحب..

وكنا نستغفر الله (تعالى)..

ونصلى كثيرا، طالبين المغفرة..

فقط لأننا أحببنا..

ثم كبرنا..

وكبرت معنا مخاوفنا..

وتعاظم الشعور بالخزي مع الحب اكثر واكثر..

وبالذات لدى الإناث..

فالمجتمعات الشرقية بطبعها، تركز عدوانيتها كلها تجاه الإناث، باعتبارهن كائنات سريعة وسهلة الخطأ، مرهفة الحس، من اليسير إيقاعها في فخ الحب والعشق، من كل محتال..

وكوسيلة لحماية الإناث، اعتاد الكل محاصرة مشاعرهن، وارهابهن بأنهن سوف يواجهن العقاب، والعار، والغضب الإلهي أيضا، لو أنهن أحببن !!

وأصبحت هذه هي القاعدة..

أن تخفي الأنثى الشرقية مشاعرها..

ان تحتويها..

ولا تفصح عنها ابدًا..

حتى بعد ان ترتبط بزوج المستقبل، وشريك العمر، تظل تلك القاعدة عميقة في رأسها..

وفي كل ذرة من كيانها..

ولان كل ما يستخدم ينمو، وكل ما يهمل يضمر، فقد ضمرت مشاعر الأنثى..

وجفت..

وتيبست..

وتحجرت..

وبالنسبة لكل الأجيال السابقة على الأقل، صار من العسير أن تفصح المراة عن مشاعرها وحبها..

حتى لزوجها..

والعجيب أن الحياة قد استمرت، على الرغم من هذا..

استمرت باردة..

باهتة..

جافة..

استمرت لتحفر معالمها على وجوه المتزوجين والمتزوجات..

على عيونهم..



وشفاههم..

حتى أصواتهم..

ولان فقدان الحب يجعل الحياة سقيمة خشنة، فقد اختفت البسمة من الشفاه، كما ستلاحظ حتما، إذا ما راقبت وجوه السائرين، في أي مكان..

وانحفر البؤس..

والهم..

والغضب..

بل والثورة أحيانا على الوجوه..

كل الوجوه..

السؤال الآن هو لماذا؟.. لماذا نحارب الحب بكل هذه الشراسة؟!

لماذا نتعامل معه بقسوة..

وغلظة..

وعدوانية؟!

ولماذا؟!

ولماذا؟!

ما الذي نربحه، عندما يخلو العالم من الحب؟!

ما الذي يسعد حياتنا، وعمرنا؟!

الحب ايها السادة، هو اعظم واروع مشاعر في الوجود، فلماذا

نقتله في أعمق أعماقنا، ونمضى في حياتنا بدونه؟!

لماذا نحذفه من قلوبنا، فلا يتبقى فيها سوى كل شعور سلبي؟!

هل ألقيتم على أنفسكم يوما هذا السؤال؟!

بل، وهل حاولتم أن تحبوا؟!

لو أردتم أن تجربوا أعظم شعور في الوجود، فأحبوا..

احبوا..

احبوا..

وابدءوا بحب أنفسكم..

احبوا ما أنتم عليه..

احبوا هيئتكم..

وعقولكم..

وحياتكم.. فإذا ما أحببتم أنفسكم، فستبدعون في حب كل شيء آخر..

وكل شخص آخر..

ابتسامة واحدة يوميا، يمكن أن تكون بداية جيدة..

ابتسامة كل صباح..

ابتسامة لصديق..

أو قريب..

أو جار..

ولا تندهشوا من هذا..

أو تتعجبوه..

أو تستنكروه..

بل حاولوه..

ابتسموا للحياة..

تذكروا المقولة الشهيرة " اضحك تضحك لك الدنيا.. اعبس تعبس وحدك "..

وتحرروا من كل مخاوفكم عن الحب..

ومن الحب..

واستعيدوا ذاكرتكم..

هل رأيتم يومًا شخصًا يحب؟!

هل شاهدتم مدى بهجته..

وسعادته..

وحبوره..

وحيويته..

ونشاطه..

هل؟!

هل راقبتم إقباله على الحياة..

وعشقه لها..

وطموحاته الكبيرة فيها؟!

لو رايتم، وشعرتم، وراقبتم، وادركتم كل هذا، فاعلموا ان السبب الوحيد له، هو انه يحب..

ثم سلوا أنفسكم بعدها، أمن الضروري بالفعل ان نبقى بلا حب؟!

امن المحتم أن نفتقد الحب..

والحياة..

والابتسامة؟!

فإذا عثرتم على جواب السؤال، ونجحتم في التخلص من كل رواسب الماضي، فابدؤوا مرحلة جديدة..

مرحلة الحب..

وقبل أن تنزعجوا من كلماتي هذه، القوا على أنفسكم سؤالا أخيرًا..

(وليه لأ؟)

* * *

6 - النفس وما تهوى

ترى أية صفة بالتحديد، يمكن أن تدفعك إلى الوقوع في حب شخص ما؟

أهي قوته..

أم جماله..

أم طيبته..

أم روحه المرحة؟

أم..

أم..

الواقع انه لو أجريت استفتاء عاما بين المحبين، لما امكنك أن تحصر جوابا واضحا في هذا الشان..

لأنه في هذه النقطة بالذات، يختلف كل مخلوق عن الآخر اختلافا بينا، لا يرجع إلى طبيعته وشخصيته فحسب، ولكنه يرتبط بجيناته ايضا، وبحياته ومنشنه على وجه عام..

وربما كان لهذا العامل الأخير التأثير الأعظم، في الغالبية العظمى من حالات الحب..

فالطب النفسي يقول: أن الإنسان يحب في الطرف الآخر أمرا افتقده في حياته، ويسعى إليه طيلة عمره..

الشخص الذي حرم من الحنان في طفولته، أو عانى عذابًا أو قسوة، قد يقع في الحب، إذا ما شعر بحنان الطرف الآخر، أو دفء مشاعره..

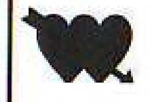
بل ويجد نفسه مدفوعًا بقوة، نحو أية لمسة حانية، أو همسة رقيقة..

لهذا قد تجد رجلاً غاية في الوسامة، غارقًا حتى أذنيه في حب امرأة، يرى الكل أنها تفتقر إلى كل مقومات الجمال أو الإثارة، بل ويبدون دهشتهم الشديدة من شدة عشقه لها، إلا انه في الواقع منجذب إلى حنانها، وما يمنحه إياه من شعور بالأمان والاستقرار..

والعكس أكثر شيوعًا، وهو أن تجد فتاة رقيقة جميلة، تعشق رجلاً خشن المظهر، أو يكبرها في العمر، لأنها وجدت لديه الحنان الذي تبحث عنه منذ طفولتها..

والابنة التي نشأت في كنف أب صارم متزمت، قد تعشق في شبابها شابًا مرحًا منطلقًا..

فمشكلة الحب الرئيسية، هي انه يكمن دوما في جزء خفي عميق من كينوناتنا.. جزء نجهل كل شيء عنه..



وحوله..

جزء يثب من مكمنه بغتة، في لحظة نجهلها، ليسيطر على كل ذاتنا، دون أن نملك له ردًا أو دفاعًا..

وقد لا ندرك حقيقة ذلك الجزء الخفي أبدًا، حتى بعد أن نحب، ونعشق ونتزوج، وننجب أيضًا..

والواقع أن هذا لا يهم..

ليس من الضروري أن نعرف ماهية الحب..

ولا لماذا أحببنا..

المهم أن نحب..

وألا نضيع هذا الحب، مهما كان الثمن..

المشكلة أننا نخشى بشدة حالة الوقوع في الحب، عندما نشعر بها فجأة..

فالناس أعداء ما يجهلون..

وما يعجزون عن فهمه أيضًا..

ففي لحظة يكونون أحرارًا..

وفي اللحظة التالية يجدون أنفسهم أسرى الحب..

هذا لا يعني أن الحب يحدث في لحظة، أو من النظرة الأولى، كما تحب روايات الرومانسية أن تقنعنا..

إنما الواقع أن ننتبه إليه فجأة..

ففي البداية يكون هذا انجذاب..

واهتمام..

ومتابعة..

و..

وفجاة! ياتي عامل ما، ليفجر الحقيقة داخلنا، دون تمهيد..

حقيقة اننا نحب..

وذلك العامل قد يكون غياب المحب..

او مرضه..

او عودته..

او حتى لمحة عن احتمال وقوعه في حب شخص آخر..

والفتيات اكثر من يدركن هذه الحقيقة..

حقيقة العامل الخفي للحب..

فعندما تريد الواحدة منهن اختبار عواطف شخص ما نحوها، تجدها تختفي من حياته فجاة..

او تفتعل معه مشكلة وهمية..

او تروي له ماساة مفتعلة..

المهم ان تفجر داخله عاملاً ما..

عاملاً تجهله..

ويجهله..

وعادة ما ينجح هذا الأسلوب تماما..



ولكن ليس بالضرورة ان يسفر عما تنشده الفتاة..

فقد يدرك الشاب طبيعة مشاعره نحوها..

او انعدامها..

او هو لن يدرك انعدامها..

ولكنها هي ستدركه..

وسيتحطم حبها..

وقلبها..

وتتصور ان عمرها قد انتهى..

وانها لن تحب مرة اخرى..

و..

ولكن الزمن سيمر..

ويندمل الجرح..

ويشفى القلب..

ويتفتح..

وياتي حب جديد..

واختبار جديد..

وما تهواه المراة في الرجل، يختلف تماما عما يهواه الرجل في المراة، بسبب اختلاف نوعيتهما، ومنظور كل منهما للحياة..

وللحب..

واختلاف المنظور هذا، هو الذي يسبب كل مشكلات الحب، والزواج، والارتباط بين الجنسين..

ففي آخر الأبحاث العلمية، والتي ترفض الجمعيات النسائية الاعتراف بها في تعنت مضحك، أثبتت الجينات أن الرجل كائن متعدد، والأنثى كائن منفرد..

وهذا يعنى أن قلب الرجل يسمح له بالوقوع في أكثر من حب، في آن واحد، في حين أن المرأة لا يمكن أن تقع إلا في حب شخص واحد، في الوقت الواحد..

وهذه نتيجة تبدو لي علمية ومنطقية، باعتبار أن الذكور في كل الكائنات قادرة على التزاوج مع أكثر من أنثى، في حين أن الأنثى لا يمكن أن تتزاوج إلا مع ذكر الواحد..

والرجل مؤهل للزواج بمثنى وثلاث ورباع (على الرغم من إصرار البعض على نفي هذا)، في حين أن الأنثى غير مؤهلة لهذا !!

المهم أن هذا الاختلاف الجوهري يدفع المرأة دوما لاستنكار تصرفات الرجل، ويدفعه هو لإخفاء تلك التصرفات عنها..

ومن ناحية أخرى، فالمرأة تثق في حقيقة تعدد مشاعر الرجل، بدليل أنها تخشى نظراته لأخرى، وحديثه مع صديقة..

أو زميلة..

أو رفيقة حفل..

وقديمًا كانت النساء تدرك هذا أيضًا، ولكنهن كن يتعاملن مع الموقف أو يتغاضين عنه..



والحياة تسير..

ثم تطورت الدنيا، وحصلت المرأة على حريتها..

ولم تعد تتغاضى..

أو تتنازل..

أو تتجاوز..

وبدأ الحديث عن الشخصية..

والكرامة..

وعزة النفس..

وبدأ القتال..

والصراع..

وتعددت حالات الانفصال..

والطلاق..

ولم يتغير الرجل..

وكل ما حدث هو انه قد تعلم كيف يخفي انفعالاته اكثر..

وأكثر..

وأكثر..

ولأن مشاعر المرأة أكثر رقيًا من مشاعر الرجل..

وأنها ترغب أكثر في الأمان والاستقرار..

فقد عاد الأمر يتراجع..

ويتراجع..

ويتراجع..

وعادت النساء تتغاضى..

وتتجاهل..

وتتنازل..

و..

ويبقى الحب، هو الصمام..

صمام الأمان..

الوحيد..

* * *

7 - عندما يرحل الحب

مهما بلغت العلاقة بين اثنين، ومهما تصور كل منهما انه قد صار يعرف الآخر كما يعرف نفسه، فما من مرة، امكنني فيها أن احصل على جواب منطقي عندما يرحل الحب..

ففي لحظة، ما تبدو دوما غامضة مفاجئة، لأحد طرفي المعادلة، قد يسمع احد الطرفين من الطرف الآخر عبارة ؛ "لم اعد اشعر بك كالماضي.".. ومع سماعها يصاب ذلك الطرف بالدهشة..

والغضب..

والحيرة أيضا..

ففي كل المرات، مهما تعددت الحالات، يحدث هذا فجاة..

وبلا مقدمات..

وهذا ليس واقع الأمر، ولكنها الصورة التي تبدو دوما للطرف المصدوم، والمطالب بالخروج من اللعبة..

وهي صورة غير صحيحة..

في كل الأحوال..

فالواقع انه تكون هناك دوما مقدمات..

وتمهيدات..

وإشارات..

وتلميحات..

ولكنه لا يراها، او يشعر بها، أو حتى يدركها..

ولعل هذا احد أهم أسباب الانفصال..

فمع بداية الحب، تنتاب كل منا شراهة عجيبة، تدفعنا إلى ان ننهل من حبنا هذا بمنتهى النهم..

ولان الحب في مجمله غزير وفياض، فنحن ننهل، وننهل، وننهل، حتى نتصور انه نبع لا ينضب ابدا..

انه نبع طبيعي، محدود الكمية، على الرغم من غزارته..

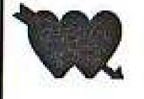
والينابيع الطبيعية ترتوي بمياه الأمطار، ثم تمنحنا ماءها العذب..

والحب أيضا يحتاج إلى تلك الأمطار، ليبقى.. ويستمر..

ويستمر..

والأمطار هي مردود للحب..

فانت تنهل من حبيبك بقدر ما تستطيع، وتمنحه أيضا بقدر ما يمكنك، حتى ينهل ويرتوي منك بدوره..



وينمو..

وينتصر..

ولكن من الواضح أن كل ما ندركه عن الحب هو الأخذ، وليس العطاء..

الاستمتاع، وليس المسؤولية..

لذا، فهو ينهار بسرعة..

ويذبل..

ويرحل..

وعندما يرحل الحب، يبدأ العذاب الأكبر..

ففراغ ما بعد الحب، لا يمكن أن يسببه أي فراغ آخر، في أية مرحلة مختلفة من الحياة..

وبالذات فراغ ما قبله..

فقبل أن نحب، نعانى من فراغ القلب، ولهفته إلى الحب..

والتقارب..

وتبادل المشاعر..

والعواطف..

والأحاسيس..

ثم يأتي الحب..

ومعه يأتي كل هذا..

ويخفق القلب..

وينتعش..

ويحيا كما لم يفعل من قبل..

أبدًا..

ومع استمرار الحب، يعتاد المرء هذا الشعور..

ويدمنه..

ويتعايش معه..

وبه..

ثم تأتى تلك الصدمة..

ويرحل الحب..

ومع رحيله، تنهار كل تلك المشاعر، وتترك في القلب خلفها فراغا..

فراغًا هائلاً كبيرًا..

فراغًا ليس بحجم القلب، بل بحجم الكيان كله..

وربما أكبر منه..

ألف مرة..

وللوهلة الأولى، قد يغضب المرء، لأنه قد فقد الحب..

ثم، ومع مرور الوقت، يتحول الغضب إلى مرارة..

ولوعة..

وفراغ..

القلب الذي اعتاد أن يخفق كطير سعيد، توقفت خفقاته، وانهارت سعادته، ولم يعد لديه مبرر واحد ليبقى في صدر محب قديم..

وتنهار المشاعر كلها، واحدًا بعد الآخر، كما لو أنها كانت مربوطة كلها بخيط واحد..

خيط حب..

وفي بعض الأحيان، قد يؤدى هذا إلى مراجعة النفس..

ومصارحتها..

وكشف أسباب الرحيل..

وفي تلك الحالات، يتضاعف العذاب أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

فالمرء يدرك عندئذ أنه المسئول عن الفراغ..

أن إهماله لعواطف ومشاعر شريكه، هي التي قتلت الحب..

ولحظتها سيشعر بالندم..

والألم..

وعذاب الذات..

وربما يسعى، بكل طاقته، لإصلاح الخطأ، واستعادة من

يحب..

ولكن نادرًا ما يفلح هذا..

فالطرف الآخر عانى العذاب نفسه من قبل، ولكن بصورة عكسية تماما..

عاناه، وهو يحاول أن يوضح الصورة، وينيرها..

ويلقى الضوء على نقاط القصور..

والأنانية..

والفشل..

ولكنه واجه كل هذا بتجاهل تام من الآخر..

أو بعدم فهمه..

أو بانانية، استولت على كل المشاعر، وأهملت ردود الفعل في الجانب الآخر، اثناء انشغالها بتلبية متطلباتها، وتغذية متعتها..

وعندما اتخذ الطرف الأول قرارا، لم يكن هذا سهلاً أو هينا..

بل جاء أيضا بعد عذاب..

وعذاب..

وعذاب..

وبعد الف محاولة ومحاولة..



وعندما أصابه اليأس من إصلاح الموقف، أو دفع الطرف الثاني

إلى الإحساس به، ومعاملته كبشر، له مشكلاته ومتاعبه، وليس كمجرد مصدر دائم للمتعة، اتخذ اخطر قرار..

قرار الانفصال..

والقرار في طبيعته يختلف، عندما يتخذه الذكر، أو تتخذه الأنثى..

فالذكر قد يتخذ قرار الانفصال لأسباب أوهى، مثل انشغاله بأخرى، أو شعوره بالملل من نمطية العلاقة، أو حتى لمجرد التغيير..

أما الأنثى فلا تلاحظ هذا القرار إلا لأسباب أكبر..

وأعنف..

وأخطر..

هذا لأن الأنثى، بغريزتها، أميل للاستقرار والهدوء..

وهي لا تهوى التغيير المستمر..

لذلك، فهي تبذل قصارى جهدها في الغالب، لاستمرار العلاقة..

وفي سبيل هذا تتحمل الكثير..

والكثير جدا..

كما أن الأنثى أيضا لديها مقدرة اكبر على التسامح..

والتجاوز..

والغفران..

وكل هذا في سبيل استمرار العلاقة..

لذا فهي قد تغفر للذكر..

وتتجاوز عن اخطائه..

وإهماله لمشاعرها..

وحتى عن عيونه الزائغة..

ولكن المشكلة أنها لا تنسى أبدا..

كل ما تفعله، هو أن تختزن هذا، في ركن قصي من عقلها..

وقلبها..

ومشاعرها..

ثم تكرر الأخطاء..

وتتكاثر..

وتحتشد هناك في ذلك الركن..

ومع مرور الوقت، يكتظ الركن بما فيه، ويختنق به، ولا يجد متنفسًا واحدًا للمزيد..

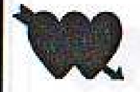
وهنا يصبح الاحتمال مستحيلاً..

والانفصال اكيدًا..

وينهار الحب..

ولأنه قد انهار بعد معاناة طويلة، وكفاح مرير، واحتمال فاق طاقته، فان العودة إليه تكون عسيرة..

وربما مستحيلة..



وهنا يدرك الطرف الثاني فيما اخطأ..

وكيف خسر معركته..

ومشاعره..

ويدرك هذا فقط عندما تنهار العلاقة..

وعندما يرحل الحب.

* * *

8 - الذروة..

في كل مرحلة من مراحل حياتنا، هناك حتماً ذروة..

ذروة يبلغ فيها الشيء - اي شيء - قمته، ومداه، ويصل إلى اقصى ما يمكن أن يصل إليه..

هناك ذروة للنجاح..

وللفشل..

وللغضب..

وللفرح..

وايضاً للحب..

ولكن المدهش، في كل الحالات، هو أن الإنسان لا يدرك قط انه بلغ ذروته..

الشخص يمكن أن ينجح، ويواصل النجاح والتقدم، ولكنه لا يدرك قط انه قد فاق اقرانه بكثير، وانه قد تجاوز كل الحواجز، وبلغ ذروة لم يبلغها سواه..



ربما يشعر الآخرون بهذا، اما هو، فينشغل بنجاحه عن إدراك ذروته..

ثم تبدأ الذروة في الانحسار..

ويدرك المرء أين كان بالضبط قبل هذا..

وهذا يحدث أيضا في كل الأحيان، وبالذات في الحب..

وبلوغ ذروة الحب أمر لا يدركه العديد من المحبين، إذ انه من الطبيعي أن تتدرج المشاعر، من الود، إلى الإعجاب، إلى الانبهار، إلى الحب..

ثم يتطور الحب..

ويتطور..

ويتطور..

وإذا ما كان الحب متبادلا بين الطرفين، فسيبلغان ذروته، دون حتى أن ينتبها إلى ذلك..

وذروة الحب أمر جميل..

بل هو أجمل ما في العلاقات الإنسانية كلها..

فمع ذروة الحب، يتوقف الطرفان عن التعامل من منظور فردى، ويبدآن الانتقال إلى المعيار المزدوج..

كل شيء أصبح يرتبط بهما معا، وليس بأحدهما دون الآخر..

كل شيء..

العواطف..

المشاعر..

والأحاسيس..

وحتى الأحلام..

افكارهما نفسها تحويهما معا، فلا احد منهما يتخيل حياته من دون الآخر، ولا يرى مستقبله إلا معه..

الوجبة الواحدة لا يصبح لها مذاق، إلا إذا تناولاها معا..

الحلم يكمله احدهما للآخر..

رويدا رويدا، وتمتزج روحاهما، ويصبحان أشبه بشطري المخ، لا يمكن أن يعمل احدهما دون الآخر، وإلا أصيب الجسد بشلل كبير..

ومع الحب، تمتزج الأهداف والنوايا، وتتقارب الأفكار والطموحات، وتصبح سعادة احد الطرفين هي الهدف الأسمى للطرف الآخر..

حتى الألم، يتحول إلى لذة، لو أن ثمنه هو ابتسامة سعادة، أو نظرة حب، لدى الطرف الثاني..

وعندئذ يكون الاثنان قد بلغا الذروة..

ولكنهما لن يدركا هذا..

لن يدركاه حتى تحدث الرجة..

ومن المؤسف أنها تحدث دوما..



الإنسان داخله شيطان ما، يتوتر إذا ما بلغ ذروة السعادة، فيبدأ في نبش كل خلية من خلايا المخ، في محاولة لإيقاظ لمحة ما، أية لمحة، يمكن أن تفسد الهناء..

والعجيب انه ينجح في كل الأحوال..

ربما النفس البشرية ضعيفة، أو انها امارة بالسوء كما يقولون..

ففي ذروة الحب، لابد وان يبدأ احد الطرفين في التمرد على نحو أو آخر..

والبداية تكون دوما من رفض الازدواجية..

في مرحلة ما، لا يمكن تحديدها قط، يبدأ ذلك الشق الصغير في التكون، وسط العلاقة الازدواجية الجميلة..

شق يبدأ أصغر من أن يلفت الانتباه، أو أن يتوقف عنده احد..

وربما ينشأ من موقف..

أو حدث..

أو حتى كلمة قيلت..

المهم أن شيطان الفساد يتلقى هذا، ويضخمه، ويضيف إليه عشرات الأحداث الصغيرة، عبر علاقة طويلة..

وهنا يتسع الشق..

ويتسع..

ويتسع..

وفي لحظة ما، تتهاوى الازدواجية، وتعود الفردية للسيطرة..

وكل طرف من الطرفين يبدأ الحديث عن نفسه..

عن مشاعره، واحاسيسه، وعذاباته، وآلامه..

وعن كل ما تحمله، لتستمر العلاقة..

وكل شخص يفكر في نفسه فقط، دون الآخر..

ومع التفكير والفردية، تبدأ مرحلة التحدي، والرغبة في إثبات الذات..

ويتسع الشق اكثر، واكثر، ويتحول إلى هوة ساحقة..

وربما يتدخل البعض، أو حتى يجلس الطرفان للمناقشة، وتحل المشكلة، ويعود المحبان إلى بعضيهما البعض..

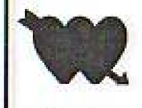
ولكن ليس إلى الذروة..

فالذروة قد ذهبت..

والى الأبد..

ما حدث بينهما سيظل دومًا اشبه بشرخ ما، في لوح من الزجاج البلوري النقي..

صحيح أنه لن يؤدي إلى انهيار الزجاج، إلا انه سيفقده نقاءه وشفافيته..



وسيظل الشرخ مرئيًا دومًا..

ويستحيل أن يعود لوح الزجاج إلى شفافيته الكاملة أبدا..

وكذلك الذروة..

وأنها إما أن تكون، أو لا تكون..

وأبدًا لا تعود..

الوسيلة الوحيدة للحفاظ على ذروة الحب إذن، هي الا نفقدها إذا ما وصلنا إليها..

وهذا ليس بالأمر السهل..

وليس بالمستحيل أيضًا..

كل المطلوب منا هو أن نزيد مساحة الحب في أعماقنا، حتى تحتل القدر الأكبر من مشاعرنا، فتنزاح إلى جوارها كل المشاعر والعواطف السلبية الأخرى..

أن نثق فيمن نحب..

في مشاعرنا نحوه..

ومشاعره نحونا..

نثق في أن كل ما يفعله هو بدافع الحب وحده، وليس باي دافع آخر..

حتى لو اخطأ، لابد وان ندرك ونثق في انه لم يقصد هذا، ولم يتعمده، ولم يسع قط لإيذائنا..

الحب هو الثقة، والاقتناع، والإيمان بحسن النوايا والمقاصد..

لو افترضنا فقط حسن النية، ستسير سفينة الحب في بحر الحياة، حتى لو انقلبت. او هاجمتها العواصف..

والحياة لا تخلو من العواصف..

وفيها يثبت الحب وجوده..

فالحب لا يبلغ ذروته، لان المحبين يتشاركان ساعات الفرح والسعادة والهناء فحسب، ولكنه ينمو ويزدهر، عندما يواجهان معًا المصاعب والعواصف..

ولن نبالغ لو قلنا: أن الأزمات تصنع حبا يفوق ما تصنعه أيام السعادة والهناء..

بل تصنع ما هو أقوى من الحب..

الثقة..

وما يساعد ذروة الحب على الاستمرار هو الثقة..

والثقافة..

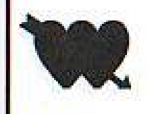
وهدوء النفس..

ولست اشك لحظة، في أن نصف من سيقرؤون هذا المقال سيسخرون من كل كلمة جاءت فيه، وسيؤكدون أن الحب نفسه لم يعد موجودًا، فما بالك بذروته !!

ثم أن بعضهم سيشكك في نمو العواطف والمشاعر، في مثل هذا الزمن الصعب..

زمن المادة كما يطلقون عليه..

والواقع انني اشعر بالكثير من الشفقة على من يفكرون بهذا الأسلوب، ومن حرموا انفسهم من الشعور بأسمى عواطف البشرية..



فالحب موجود دوما، مهما تعقدت الحياة، أو زادت ماديتها..

بل انه ينمو ويزدهر اكثر، في المجتمعات المغرقة في المادية، نظرا لان الناس يكونون فيها اكثر حاجة إلى الحب..

والى كل العواطف..

كل ما في الأمر، هو أن البعض أصيب بحالة من جفاف المشاعر، أو عدوى القساوة، مبررًا هذا بصعوبة المعيشة، وضعف الإمكانيات، أو غلظة تعامل الناس مع بعضهم البعض..

ولست أظن الدنيا يعنيها هذا..

فمهما كانت مشاعرنا، وظروفنا، وسبل عيشنا، فسنحيا مرة واحدة لا غير..

مرة ينبغي أن نستمتع فيها بكل ما أحله لنا الله (سبحانه وتعالى)، إذ من الجحود أن يمنحنا نعمته (عز وجل)، فنتجاوز عنها لأي سبب كان..

وحتى لو كانت الحياة قاسية، فلماذا لا نبحث فيها عن قبس من السعادة..

لمحة من النور..

همسة حب..

لم لا؟!

سل نفسك هذا السؤال، وابحث عن جوابه، وتذكر انك ستحيا مرة واحدة..

وذروة واحدة..

في النجاح..

والحياة..

والحب..

* * *

الفهرست







دار ليلى ودايموند بوك

الثمن في مصر
جـ
10